المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والاربعين

١ مارس (اذار) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٤

اليابان ومجد الشرق

الحق للقوة وكل قول يناقض هذا القول لغوٌ وسخافة ما دامت عقول الناس واعمالهم على ما هي عليهِ الآن

قتل سربي ولي عهد النمسا وزوجتهُ فارغت النمسا وازبدت وافتأتت على السرب وطلبت منها ما يطلبهُ القوي المستبد من الضعيف المستكين وايَّدتها المانيا. فتنصلت السرب ممَّا اتُّهِمت بهِ ورضيت ان يرفع الخلاف الذي بينها وبين النمسا الى محكمين يحكمون بينهما فابت النمسا ذلك وشهرت الحرب عليها

وطلبت المانيا من البلجيك ان تسمح لها باجتياز بلادها لمحاربة فرنسا فابت فدوَّختها ودكت حصونها وخرَّبت مدنها

منذ احدى وعشرين سنة وقعت الحرب بين الصين واليابان وانتهت بفوز اليابان واستيلائها على شبه جزيرة ليوتنج فنهضت المانيا واعترضت عليها وحملت روسيا وفرنسا على مشاركتها في الاعتراض فاضطرَّت اليابان ان تنكص على عقبها وترضى من الغنيمة بالاياب لكنها حفظت من ذلك درساً لا تنساهُ وهو ان الحق للقوة وبذلت جهدها في الاستعداد برًّا وبحراً فكالت لروسيا الصاع صاعين فعظم شأنها في عيون الاوربيين حتى صار غوانيهم يتباهين بتقليد اليابانيات في ملابسهنَّ. ولم تكد الحرب الاوربيَّة تنشب حتى جاء دورها للاخذ بالثار من المانيا. فان المانيا كانت قد وضعت يدها على ميناء كياوشاو وما يطيف بهِ من البلاد الصينية بحجة ان الصينيين قتلوا اثنين من المرسلين الالمانيين ويجب تأديبهم وتأديب حكومتهم. ثم جعلت تحصن هذا الميناء والآكام التي حولهُ حتى جعلتهُ امنع من عقاب الجو

قاصدة ان تجعلهُ مفتاحاً لسلطنة شرقية واسعة فتلقي بذار الشقاق في مملكة الصين حتى تتداعى اركانها فتختطف منها ما تستطيع اختطافهُ قبلما يسبقها غيرها اليهِ. ومَن حضر السوق باع واشترى. ولكن اسمع ما ذا جرى وكيف يستعزُّ القوي بقوتهِ فان اليابان قامت في بداءة هذه الحرب وطلبت من المانيا ان تخرج من كياوشاو بقضها وقضيضها وصاغت صورة هذا الطلب كما لو كان امبراطور المانيا نصَّهُ بنفسهِ لدولة من اصغر الدول فانها قالت فيهِ ما ترجمتهُ:

« اننا نرى انهُ من اهم ما يُطلَب منا واوجبهِ في الاحوال الحاضرة ان نزيل كل سبب يدعو الى تكدير كاس السلام في الشرق الاقصى وان تحمي المصالح العمومية التي يرمي اليها الاتفاق المعقود بين اليابان وبريطانيا العظمى

« وترى الحكومة اليابانية ان حفظ السلام الدائم في شرق اسيا الذي هو الغرض المقصود من ذلك الاتفاق يضطرها ان تشير على الحكومة الالمانية بعمل ما يأتي

« اولاً ان تخرج حالاً سفنها الحربيَّة والمسلحة مهما كان نوعها من كل البحار اليابانية والصينيَّة وان تنزع الاسلحة من كل سفنها التي لا تستطيع اخراجها

« ثانياً ان تسلّم لمأموري اليابان كل بلاد كياوشاو قبل ١٦ سبتمبر من غير شرط او طلب تعويض على ان تعاد تلك البلاد اخيراً الى الصين

« واذا لم يصل الى الحكومة اليابانية جواب من الحكومة الالمانية حتى ظهر الثالث والعشرين من شهر اغسطس تقول فيهِ انها قبلت مشورة اليابان من غير قيد ولا شرط فاليابان تعمل ما تراهُ لازماً في الاحوال الحاضرة »

فاستخفَّت المانيا بطلب اليابان ولم تجبها اليهِ صلفاً وخيلاء لان بوارج اليابان من اقوى البوارج ومدافعها من اكبر المدافع وقوادها من امهر القوَّاد بفنون الحرب وجنودها من اشجع الجنود في مواقع الكر والضرب فلا اسهل عليها من ان تنال مطالبها بالرغم عن انف المانيا بالقوة ان لم تنلها برضاها. وارسل امبراطور المانيا رسالة برقية الى نائبهِ في كياوشاو يأمرهُ ان يتشدَّد ويتصلَّب حتى تذكر القرون المقبلة ثباتهُ بالاعجاب والاطناب. ولكنهُ آب بالخيبة لان حصونهُ المنيعة لم تقوَ على قنابل اليابان وبسالة رجالهِ لم تفق بسالة اليابانيين

هذا عمل واحد من اعمال ثلاثة قامت بها اليابان في هذه الحرب ولعلهُ اقلها شأناً والعملان الآخران اولهما حماية سفن الحلفاء التجارية في الاوقيانوس الباسيفيكي والشرق

الاقصى من السفن الالمانية الحربية وحماية مستعمرات الحلفاء كلها في تلك البحار الواسعة · فان السفن الحربية الانكليزية والفرنسوية شُغلت في البحر الشمالي والاوقيانوس الاتلنتيكي والبحر المتوسط · والسفن الروسية لم تستطع الخروج من البلطيق والبحر الاسود فلم تستطع هذه الدول الثلاث ان ترسل بوارجها لحماية متاجرها ومستعمراتها في الشرق الاقصى والاوقيانوس الباسيفيكي فاناطت ذلك باليابان فقامت بهِ خير قيام ولولاها لاستطاع الالمان ان يقضوا على تجارة الحلفاء في تلك البحار كما قضى الحلفاء على تجارتهم فلليابان فضل كبير على حليفاتها من هذا القبيل

ويضاف الى ذلك ان السفن التجارية الانكليزية كانت تنقل الجنود من الهند واستراليا ولا تزال كما تنقل المتاجر والغالب انها كانت تفعل ذلك بحماية البوارج اليابانية الى ان قطع دابر البوارج الالمانية من بحار المشرق وهذا مما يزيد فضل البوارج اليابانية ويثبت ان اليابان خدمت حلفاءها في هذه الحرب افضل خدمة

والعمل الثاني تقديم الذخيرة لروسيا فان الحلفاء دخلوا هذه الحرب غير مستعدين لها · ولو امهلتهم المانيا ليستعدوا لما خطر ببالهم ما هو الاستعداد المطلوب من حيث المدافع والقنابل والغازات الخانقة والاسلاك الشائكة لا في نوعها ولا في مقدارها فانهُ لم يخطر ببالهم ان المدافع التي يزن المدفع منها خمسين طنًّا او ستين يمكن ان تنقل الى ميادين القتال لتدك بها حصون السمنت والحديد · ولا خطر لهم ان يحشوا مدافعهم بقنابل تتفجَّر فتدك الجبال وتحفر في الارض شبه البراكين · ولا قام في نفوسهم ان يسمُّوا الهواء بالغازات ويميتوا خصومهم اختناقًا بعد ان يجرعوهم غصص المنون ولم يخطر لهم ان يسلحوا كل جيش من جيوشهم بالوف من المدافع ومئات الالوف من القنابل ولا ان يتحصنوا وراء غابات من الاسلاك الشائكة كما فعل الالمان في كل ذلك فادهشوا ام الارض

فهذه الاسلحة في نوعها ومقدارها لم تخطر ببال الحلفاء ولذلك كانت المانيا واثقة بالنصر وخصومها عنها غافلون · فلم يمضِ على الحرب ايام كثيرة حتى نفد ما عندهم من الذخيرة او كاد فهبَّ الانكليز والفرنسويون الى تدارك ما فات وحوَّلوا مصانعهم كلها الى دور صنعة لعمل الذخيرة وهي كثيرة وصناعها ماهرون ولكن روسيا ليست كذلك في المصانع والصنَّاع وجيشها عرمرم وكان يحارب الالمان والنمسويين في اماكن كثيرة وميادين طويلة فاضطرت ان ترتد على اعقابها بعد ان كان الفوز لها وما ذلك الاَّ لنفاد ذخيرتها · وقد كان الحلفاء يمنون انفسهم بايصال الذخيرة اليها من اوربا بطريق الدردنيل فسبقتهم المانيا الى محالفة تركيا

واوقعت الحرب بينها وبين روسيا . وللحال نهضت اليابان بمعاملها الكثيرة وجعلت تسبك المدافع وتصنع القنابل وتبعث بها من اقصى المشرق الى غربي روسيا وهذا سر ثبات الروس وعودهم الى اتخاذ خطة الهجوم بعد الانخذال

ونحن الشرقيين لا يسعنا الآن المباهاة بما فعلتهُ الامَّة اليابانية لانها اثبتت للاوربيين ان الشرقي لا ينقص عن الغربي في شيءٍ اذا اتيح لهُ كسر قيود التقليد فان اليابانيين — وهم امَّة قديمة ذات تاريخ مجيد بين الامم الشرقية وقد اشتهرت باتقان الزراعة والصناعة والعلوم والفنون — لم يروا حطةً من شأنهم ان يطرحوا تقاليدهم ويجاروا الاوربيين ويتعلموا منهم حتى يباروهم . ولا بدَّ للمرء ان يتجرَّد من كل ما يعيقهُ اذا اراد ان يباري المحاضير

وقد يظن لاول وهلة ان اليابان اشترت كل بوارجها ومدافعها وسائر اسلحتها من اوربا وهذا غير الواقع نعم قد اشترت كل اسلحتها اولاً وسفنها الحربية من اوربا ثم بعثت بابنائها الى معامل اوربا واميركا فتعلموا فيها كل ما يلزم لبناء البوارج وعمل الاسلحة وعادوا الى بلادهم وانشأُوا المعامل واستخرجوا الحديد والفحم من مناجمهم وجعلوا يبارون الاوربيين وكادوا يستقلون عنهم

دخلنا معمل ارمسترنج ببلاد الانكليز منذ بضع سنوات وجعل مديرهُ يرينا كيفية سبك المدافع التي زنة المدفع منها خمسون طنًّا فاكثر وصفائح الفولاذ التي تستعمل لتدريع البوارج وكانت تلك المدافع وهذه الصفائح ترفع بروافع بخارية وتنقل من جهة الى اخرى في ذلك المعمل الوسيع . ثم وقف امام رافعة فيها وقال لم يسبقنا الآ اليابانيون فان روافعهم ترفع الاثقال بالكهربائية لا بالبخار تعلَّم صنَّاعهم في هذا المعمل ثم عادوا الى بلادهم وبنوا مثلهُ وجروا فيهِ على احدث المخترعات واكثرها اتقانًا فقلنا في انفسنا . حقًّا لقد اعادت اليابان مجد المشرق بالعلم والقوة وكسر قيود التقليد

وما اليابانيون بافضل طينة من غيرهم من امم المشرق ولكن قضت احوال الزمان ان يرضخ غيرهم لقوانين وسنن وتقاليد تضعف الهمم وتمنع نصف الامة ممَّا يلزم لتقوية الاجسام والعقول . فعسى ما جرى هذا العام والذي قبلهُ ان يكون عظة لنا حتى نزيل كل ما يحول دون تشبهنا بتلك الامَّة النشيطة

المجمع الاوربي ومغزاهُ [1]

في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨١٥ اجتمعت الجيوش المتحالفة على نبوليون بونابرت اي جيوش انكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا قرب شالون فاغتنم القيصر اسكندر قيصر روسيا تلك الفرصة لحث حلفائهِ على العمل بمشروع طالما كان يمني النفس بتحقيقهِ ولاسيما بعد ما عقدت محالفة ١٤ سبتمبر التي سماها المحالفة المقدسة

فان جيوش الحلفاء احتلوا باريس مرة ثانية وكانت حرب المئة اليوم قد انتهت بمعركة ووترلو · وبات نابليون اسيراً في ايدي الانكليز وملوك اوربا ورجال حكوماتها يتداولون في وضع شروط سلم كانوا يرجون ان يكون سلماً دائماً لاوربا عامة ولفرنسا خاصة · وكان قد اتى على اوربا ربع قرن لم تغمد فيهِ حساماً الاَّ في فترات وجيزة · واستعرت نار القتال في فرنسا وهولندا وايطاليا وجرمانيا والبرتوغال واسبانيا وروسيا ومصر وعلى متون البحار حتى تهدم نظام الحكومات الاوربية وتركت الحواضر والبوادي اطلالاً دارسة بمنازلها وحقولها · وناء الخلق بالاعباء العسكرية والمالية

وكان القيصر اسكندر رقيق القلب شديد الانفعال · رأى تلك الحالة فآلمتهُ فقال في نفسهِ ان الفرصة قد سنحت لوضع العلاقات الدولية على اساس مكين وربما لن تعود هذه الفرصة ابد الدهر فاتفق هو وملك بروسيا وامبراطور النمسا على المحالفة المقدسة المشار اليها آنفاً · ومما جاء في بنودها قولهم :

« لاغرض لموقعي هذه المعاهدة الاَّ اعلان عزمهم على الاسترشاد بقواعد الديانة المقدسة وهي العدل والمحبة والسلام · ولا يكتفى بالعمل بها في الشؤون الخاصة بل لا بد للملوك والامراء من الاسترشاد بها لتسديد خطاهم · وسيبقى هؤلاء الملوك الثلاثة مرتبطين بربط الاخاء الصادق الذي لا تفصم عراهُ »

على ان النقّاد المعاصرين والمتأخرين هزأوا بهذه المحالفة فقال مترنيخ [2] عنها انها طبل فارغ ولكنهُ كبير الصوت · وقال كسلري [3] انها آية في الابهام والسخافة وشك في صحة

---

(١) The Concert of Europe خلاصة مقالة نشرت في مجلة القرن التاسع عشر للمستر ماربوت

(٢) Prince Metternich سياسي نمسوي شهير (١٧٧٣ - ١٨٥٩)

(٣) Castlereagh وزير انكليزي (١٧٦٩ ١٨٢٢)

عقل واضعها. وارتاب كاننغ (١) في حسن نيتهِ واخلاصهِ. ولا بدع ان ينكر النقاد على القيصر اسكندر ما فعل ويشتبهوا في سلامة نيتهِ وصدق طويتهِ بعد ما اشتهر عنهُ من الاقدام على المتناقضات والميل مع كل هوى والانقياد لكل عامل ومؤثر. ولم تكن لغة المعاهدة مما يرضي اهل السياسة لانهم لم يعتادوها فلذلك لم يفهموها. فلا بدع اذا ظنوا انهُ جيء بها خصيصاً لستر مطامع ومآرب شائنة

ومع ذلك كلهِ لم يشكّ اهل الرأي في ان القيصر اسكندر كان عند اعلان تلك المحالفة حسن النية على قدر ما يكون رجل مثلهُ عرف بتقلّبهِ وتعدد مقاصدهِ. ولم يكن اول ساعٍ الى تعزيز السلام ونشر لوائهِ على العالمين بل ان هذا الغرض كان نصب عيون كثيرين ثم جاء الاقتراح المسمى «المقصد الاعظم» وهو اقتراح لا يعرف صاحبهُ بالتحقيق ولكنهُ ينسب الى احد ثلاثة — هنري الرابع ملك فرنسا او وزيرهُ سلي او الملكة اليصابات الانكليزية. وفحواهُ انشاء اتحاد اوربي يكون لهُ مجلس مشترك يفصل في الخصومات الدولية

وفي سنة ١٧١٣ نشر القس «سان بيير» الفرنسوي كتاباً في السلام العام اقترح فيهِ ان يتحالف ملوك اوربا محالفة دائمة وينشئوا مؤتمراً يرسلون اليهِ مندوبين من قبلهم ويعهد الى هذا المؤتمر في تعيين المسائل التي تجيز للدول ان تقاطع الدولة المعتدية وتتحد عليها حتى تخضع للمشيئة العامة المشتركة

وسنة ١٧٩٥ اصدر الفيلسوف كَنْت الالماني نشرتهُ المشهورة بعنوان السلام الدائم اقترح فيها امرين لبلوغ هذه الغاية: الاول ان تكون هيأة كلّ حكومة جمهورية ولا يلزم ان تكون الجمهورية ديموقراطية بل يجوز ان تكون ملكية في شكلها ولكن يجب ان تكون نيابية. والثاني ان يبنى قانون الامم على اتحاد يعقد بين البلدان الحرة. قال «وغاية ما يتمنى كل ملك ان ينال السلام الدائم باخضاع العالم لهُ. ولكن الطبيعة تريد غير ذلك»

وكان القيصر اسكندر قبل هذا المسعى قد انتدب صديقهُ نوفوسلتسوف للسفر الى انكلترا والسعي في تأييد السلام العام وزودهُ بتعليمات اقترح فيها عقد معاهدة تكون اساساً للعلاقات المتبادلة بين دول اوربا وتُعيِّن بها حقوق الامم فلا يقدم فريقان على حرب ما لم يفرغ فريق ثالث جعبة حيلهِ في التوفيق بينهما ويرجع بالفشل. فكان جواب الوزير

(١) Canning وزير انكليزي وخطيب مشهور (١٧٧٠ – ١٨٢٧)

بت[1] الصغير على ذلك ان عواطف روسيا مطابقة لعواطف انكلترا في هذا الامر واعرب عن رغبته في توثيق عرى الاتحاد مع روسيا وضمان سلامة اوربا . ثم حدد الاغراض التي يجب ان تكون نصب اعين الفريقين فاذا هي ما يأتي : (١) تضييق حدود فرنسا وارجاعها الى ما كانت عليه سنة ١٧٩٢ . (٢) ضمان السكينة والرخاء للبلاد التي تسترد من فرنسا واقامة حاجز يحول دون تبسطها في المستقبل . وختم جوابهُ بقوله :

« ولا غنى عن عقد معاهدة عامة تضمن بها كلٌّ من دول اوربا املاك الاخرى وتكون اساساً للحق العام ورادعاً يردع كل حركة توجه في المستقبل لاقلاق الراحة العامة وتقضي على كل عمل من اعمال التبسط والفتح مما جر على اوربا جميع الكوارث التي انتابتها بعد الثورة الفرنسوية »

***

ولنبحث الآن في سير اعمال المجمع الاوربي فنقول :

انقضت سبع سنوات ولا همَّ لذلك المجمع الاَّ التحكم في مجرى العلاقات الدولية بمؤتمرات يعقدها . فعقد اولها في اكس لا شابل سنة ١٨١٨ وشهده امبراطورا روسيا والنمسا وملك بروسيا وكان بين الحضور مترنيخ وهاردنبرج[2] ونسلرود[3] ودوق ريشليه[4] — وقد جاء هذا الاخير ليطلب الجلاء عن فرنسا — وكسلري وولنجتون[5] فاقترح ولنجتون الجلاء عن فرنسا فوافق المؤتمر على اقتراحه واصبحت فرنسا بعد ذلك عضواً في المجمع الاوربي فصارت المحالفة الرباعية التي عقدت سنة ١٨١٥ محالفة خماسية ادبية كما سميت حينئذٍ

وكانت نتيجة هذا المؤتمر تجديد محالفة سنة ١٨١٥ ولكن بشروط اعمّ من الاولى . فاستقرّ الرأي ان لا يلجأ الى عقد المؤتمرات الاَّ عند الضرورة القصوى . وبمساعي كسلري مندوب انكلترا نسخت الفكرة القائلة بان يكون للدول العظمى حق مراقبة الشؤون الداخلية في بلاد جاراتهنَّ الصغرى او ان يحق لكل منهنَّ ان تراقب شؤون غيرها الداخلية

(١) William Pitt وزير انكليزي مشهور (١٧٥٩ - ١٨٠٦)

(٢) Hardenberg سياسيٌّ بروسيٌّ (١٧٥٠ - ١٨٢٢)

(٣) Nesselrode سياسي روسي (١٧٨٠ - ١٨٦٢)

(٤) Duc de Richelieu سياسي فرنسوي (١٧٦٦ - ١٨٢٢) وهو غير الكردينال ريشليه المشهور وزير لويس الرابع عشر

(٥) Duke of Wellington قائد ووزير انكليزي مشهور وهو قاهر نبوليون في معركة ووترلو (١٧٦٩ - ١٨٥٢)

وسنة ١٨٢٠ شبت نيران الثورة في اسبانيا والبرتوغال وجنوبي ايطاليا · فعزم مترنيخ على قمع ثورة نابلي بالقوة طبقاً للمعاهدات التي تخولهُ هذا الحق · وعزم القيصر اسكندر ايضاً على تأييد القوة المطلقة في اسبانيا والبرتوغال عملاً بمبادئ مترنيخ ولكن من غير ان يكون لهُ الحق الذي لمترنيخ على انهما كليهما لجأ الى المجمع الاوربي طالبين موافقتهُ على ما ينويان · فعقد مؤتمر في تروبو سنة ١٨٢٠ للنظر في هذه الحالة حضرهُ كسلري من قبل انكلترا وكان قد عقد العزم على معارضة مترنيخ والقيصر فيما يطلبان · وانقضى هذا المؤتمر بخروج انكلترا منهُ وعود المحالفة المقدسة بين امبراطوري روسيا والنمسا وملك بروسيا الى عهدها السابق فاصدر هؤلاء الثلاثة البروتوكول المعروف باسم بروتوكول تروبو وقالوا فيهِ:

« ان البلاد التي تحدث فيها ثورات تقلب شكل حكومتها وتهدد البلاد الاخرى تبطل ان تكون عضواً في المحالفة الاوربية وتبقى خارجها حتى يضمن النظام ويستتب الامر فيها لكن اذا كان ما حدث فيها من الانقلاب يهدد البلاد الاخرى بخطر عاجل فالواجب على الدول العظمى المرتبطة بهذا العهد ان تلجأ الى الوسائل السلمية او الى السلاح اذا اقتضى الامر لاعادتها الى حضن المحالفة العظمى »

اما مندوب انكلترا فاعترف بانهُ يحق للنمسا ان تتداخل في امر نابلي ولكنهُ ذمَّ المبدأ المتضمن في بروتوكول تروبو بحجة ان ذلك يفضي الى التوسع في التعرض لشؤون البلاد الاخرى مما لا يتفق مع المصلحة العامة ولا مع سلطة الملوك المستقلين · ولكن مترنيخ لم يثنِ عن عزمهِ فانفضَّ المؤتمر من تروبو على ان ينعقد في ليباخ من اعمال النمسا · ودعي اليهِ فردينند صاحب نابلي ليعطي حساباً امامهُ عن اعمالهِ مع رعاياهُ الثائرين · فصدر الحكم بان تتولى النمسا اعادة الامن الى نصابهِ في جنوب ايطاليا · فسيرت الى نابلي ٥٠ الف جندي فقمعوا الثورة الدستورية بيد من حديد واقيمت في نابلي حكومة وصفها غلادستون فيما بعد بقولهِ انها « فضيحة على الدين والحضارة والمروءة والادب »

وفي سنة ١٨٢٢ عقد مؤتمر فيرونا وهو آخر المؤتمرات من نوعهِ فحضرهُ ولنجتون مندوباً من انكلترا بعد وفاة كسلري · وكان كسلري قد اقتصر على معارضة المحالفة المقدسة واعمالها بالكلام اما كاننغ وزير الخارجية حينئذٍ فما زال يعمل حتى فصم عروتها · ذلك ان ولنجتون صرَّح بلسانهِ امام اعضاء المؤتمر قائلاً « ان انكلترا لا تعطف على اهل الثورة ولا تمدُّ اليهم يداً للمساعدة ولكنها مع ذلك تصرُّ على ان يكون للامم المختلفة حقٌّ في تنصيب الحكومة التي يختارونها وفي ان يتركوا احراراً في ادارة شؤونهم ما داموا لا يتعرضون

لشؤُون غيرهم . فاذا قرّ رأي المؤتمر على معاملة اسبانيا بالقوة فان انكلترا تتنحّى عن ذلك العمل ولو آل الامر الى فضّ المحالفة »

وكان ذلك ختامها وختام المجمع الاوربي فان دوق ولنجتون اوقف الدول عن التعرض لاسبانيا بالقوة . وبقي اعضاء المحالفة المقدسة يعملون معاً حتى سنة ١٨٢٥ حينما مات القيصر اسكندر وخلفهُ اخوهُ القيصر نقولا فماتت المحالفة معهُ

***

وانتقل الكاتب الى بيان مغزى كلامهِ عن المجمع الاوربي القديم وعلاقة ذلك بالحالة الحاضرة فقال :

« يرجو الكثيرون ان لا يمضي زمان طويل حتى يعقد مؤتمر للامم بعد حرب اعظم هولاً من الحرب التي انتهت سنة ١٨١٥ . وسيكون همّ ذلك المؤتمر افراغ العالم في قالب جديد بعد النار التي يمحّص فيها الآن . ولا بدّ لهُ من اقامة تخوم جديدة والغاء تخوم قديمة . وسدّ مطامع وطنية على قدر الامكان . والجمع بين مطالب متناقضة . وزد على ذلك كلهِ ان شعور العالم المشترك يرغمهُ على تجديد السعي بشكل من الاشكال في الوصول الى الضمان اللازم لعدم حدوث كارثة اخرى مثل الكارثة الهائلة التي تجتاح العالمين الآن و بناء السلام العام على اسس دائمة لا تتزعزع اركانها

«وقد شرع كثيرون من كبار القلوب والعقول يبحثون منذ الآن عن السبيل المؤدي الى ذلك . وتراهم مجمعين على بعض الامور مختلفين رأياً في غيرها . فما اجمعوا عليهِ انهُ يجب ان تحترم مشيئة كلّ مملكة يبحث في شؤُونها وتابعيتها وان تكون مصلحتها فوق كل اعتبار ولكن كيف تعرف مشيئة هذه المملكة او تلك و باي مسبار تسبر ؟ . فمن المشهور والمعترف بهِ ان استفتاء اهل ولايتي الالزاس واللورين مثلاً في مصيرهم طريقة لا ترضي احداً . ومن رأي احد العارفين ان خير سبيل الى الحلّ المرضي هو تعيين لجنة مختلطة خالية من الغرض ولكنهُ لم يبين لنا كيفية تعيينها ولا كيفية انفاذ احكامها ويرى كثيرون وجوب عمل كلّ شيء في الجهر اي ان تقام المفاوضات الدولية على مرأى من المجالس النيابية ومسمعها . ولكن الخبيرين يقولون لك ان الطريقة المسماة « بالسياسة السرية » خير من السياسة الجهرية لان الاولى منها اجلّت الحرب الحاضرة بضع سنين ولم تسببها ولا عجلتها كما يقول بعض المتخرصين . وزد على ذلك اننا علمنا بالاختبار ان المفاوضات العلنية لم تجدِ نفعاً في حلّ مشاكل العمال وارباب الاعمال عندنا . ومتى عرفت اسرار الوزارات الاوربية في حينها

فسترى الاجيال المقبلة ما للمداولات السياسية السرية من الفضل في حلّ مشاكل الامم

وقد ادرك العقلاء في القرنين الماضيين ان الحكومة المستقلة المنفردة لا يمكن ان تكون غاية الغايات في النشوء السياسي وانهُ لا غنى للحكومات المختلفة من انشاء اتحاد سلمي وعرض اسباب النزاع والشحناء بينهنّ على محكمة ذات قوة كافية لانفاذ احكامها. ومن تأليف بوليس مختلط لارغام الدولة المتشبثة بعنادها . كذلك ادركوا ان في الامكان انشاء اتحاد من الحكومات المستقلة على مرّ الزمان

و يقال في ختام هذا البحث انهُ ما من وسيلة مادية مهما بلغ من اتقانها تستطيع ان تنيلنا هذه الغاية التي هي امنية كل رجل بارّ عاقل بل لا بدّ من ثورة ادبية اصعب مراساً واشدّ مساساً بالجوهر . فقد قيل انهُ لما عرض القس « سان بيير » اقتراحهُ المشار اليهِ آنفاً على الكردينال فليري قال « هذه فكرة بديعة لولا اغفال امر واحد . فانهُ لم يذكر فيها شيءٌ عن ارسال الرسل لتغيير قلوب الملوك والامراء » . والحق يقال انهُ مهما بلغت وسائلنا من الكمال والاتقان فلا تفي بالغرض الاَّ اذا حسبت حساباً لانتداب اناس يغيرون قلوب الامم فحينئذٍ تنجح محالفتهم حيث اخفقت المحالفة المقدسة التي عقدت بين الملوك المستبدين في اوائل القرن الماضي

طبيبات النساء

في انكلترا

من غريب ما يذكر عن الانكليز انهم على كونهم اعرق امم الارض في الحرية الشخصية والسياسية واسبقهم الى الدفاع عن الدستور حتى سمّي برلمانهم « ام البرلمانات » واولهم في احترام المرأة حتى لقد عدّ احترامهم لها وللعائلة التي هي واسطة عقدها في مقدمة الاسباب التي آلت الى تفوق الامم الانجلوسكسونية على غيرها — على ذلك كلهِ نراهم مسبوقين في مسئلة من كبريات المسائل التي لها اعظم مساس بالحرية الشخصية واحترام المرأة ومساواتها بالرجل وهي مسئلة النساء والطب

فقد انشأنا مقالة في تعلّم النساء صناعة الطب نشرت في الجزء الاول من السنة السابعة للمقتطف (١٨٨٢) جاء فيها ما يأتي :

« اشتهرت مدارس ايطاليا الجامعة بتعليم النساء العلم والطب اكثر من غيرها من المدارس فانهُ كان في مدرسة بولونيا الجامعة في القرن الثالث عشر امرأتان الواحدة استاذة

للفلسفة والاخرى استاذة للفقه · وخرج من مدرسة بادوى الجامعة كثيرات من العالمات الشهيرات مثل الينا كرنارو التي كانت تعرف الفرنساوية والاسبانية واللاتينية واليونانية والعبرانية والعربية وكانت بارعة في الموسيقى والتصوير والفلسفة والرياضيات والفلك واللاهوت · ولما بلغت الثانية والثلاثين من عمرها قلدتها مدرسة بادوى لقب دكتور في الفلسفة · ومن النساء اللواتي تعلمنَ الطب واشتهرنَ بالعلم في ايطاليا لورا كاترينا بسي التي درست الفلسفة والطب والرياضيات والطبيعيات على اشهر علماء زمانها · ولما بلغت الحادية والعشرين من عمرها طُلب منها ان تخطب خطبة فلسفية في محفل حافل بالعلماء وكان المترئس على ذلك المحفل الكردينال لمبرتيني (الذي صار بعدئذٍ بابا باسم البابا بندكتس الرابع عشر) والكردينال غريمالدي ولما خطبت الخطبة اعترض عليها سبعة من العلماء على جاري عادة تلك الايام فاجابتهم باللاتينية وافحمتهم فنالت لقب دكتور واعطيت محلاًّ في مجمع الفلسفة · ثم عينتها الدولة استاذةً للطبيعيات وضربت نيشاناً عليهِ صورتها تذكاراً لذلك فلبثت في هذا المنصب ٢٨ سنة وكانت المجامع العلمية تتسابق الى انتخابها عضواً فيها · وسنة ١٧٣٨ تزوج بها فراتي الطبيب فولدت لهُ اثني عشر ولداً وماتت في السابعة والستين من عمرها وكانت حسنة الطلعة قوية الذاكرة سديدة الرأي

ومنهنَّ حنة مورندي التي ولدت في بولونيا بعد لورا بسي المار ذكرها بخمس سنوات وماتت قبلها بخمس سنوات · وكانت متزوجة برجل فقير حرفتهُ عمل الاشكال التشريحية من الشمع فاخذت تساعدهُ في ذلك ولم تلبث طويلاً حتى فاقتهُ في العلم والعمل واتقنت علم التشريح فدعاها غالي الجراح لتدريس التشريح في مدرسة لعلم الولادة فلبَّت طلبهُ وكانت من الدقة والحذاقة على جانب عظيم فلم يمضِ عليها وقت طويل حتى ذاع صيتها في اقطار اوربا وتقاطر عليها الطلبة من كل فج ودعتها انكلترا وروسيا لتُعلّم فيهما فابت ولبثت في بولونيا ثم عينت استاذة للتشريح في مدرسة بولونيا الجامعة · وهي اول من مثَّل الاوعية الشعرية والاعصاب الدقيقة بالشمع ولم تزل مصنوعاتها في بولونيا حتى الآن

ومن اللواتي يناسب عدهنَّ هنا ولم يتعاطينَ الطب ماريا اغنسي التي كانت تتكلم بالايطالية والفرنساوية والاسبانية والجرمانية واليونانية والعبرانية وهي في السنة العشرين من عمرها وكانت عارفة بالفلسفة والرياضيات وانشأت في صغرها احدى وتسعين مقالة فلسفية وألَّفت في الثلاثين من عمرها كتاباً مطوَّلاً في الجبر والمقابلة وضمت اليهِ علم التفاضل والتكامل واظهرت فيهِ من البراعة ما يعزُّ نظيرهُ · وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية

كلسون استاذ الرياضيات في مدرسة كمبردج الجامعة وجعلهُ كتاب التعليم . وكان ابوها معلماً للرياضيات في مدرسة بولونيا فمرض مرضاً شديداً سنة ١٧٥٠ فاذن لها البابا بندكتس الرابع عشر ان تعلم بدلاً منهُ فلبثت تعلم مدةً الى ان اضناها الدرس فتركت المدرسة وترهبت في احد الاديرة وقضت نحبها سنة ١٧٩٩ . ولما كانت لورا بسي تعلم الطبيعيات في مدرسة بولونيا وحنة موراندي التشريح ومار يا اغنسي الرياضيات كثر عدد الطالبات في تلك المدرسة ونال كثيرات منهنَّ لقب دكتور في الفلسفة او في الطب . ولو شئنا ان نعدد اسماء اللواتي نلنَ لقب دكتور في الطب من مدرسة بولونيا وپادوى وپاڤيا وفرارا وغيرها لطال بنا المجال فوق الاحتمال فحسبنا ما مضى دليلاً على نجاح نساء ايطاليا في العلم عموماً وفي الطب خصوصاً

اما في فرنسا فقد ورد في كتابة كتبت في القرن الرابع عشر انهُ لم يكن يباح للجراحين ولا للجراحات ممارسة الجراحة الاَّ بعد ان يجتازوا ويجتزنَ الامتحان المدقق . وهذا دليل على ان النساء كنَّ يشتغلنَ بصناعة الطب هناك من ذلك العصر وكان يرخص لهنَّ بالاشتغال فيهِ شرعاً

واما في اسبانيا فيظهر من سجلاَّت مدارس قرطبة وسلامنكا والكالا ان هذه المدارس قد منحت لقب دكتور في الطب لكثيرات من النساء اللاتي درسنَ فيها

وقام في جرمانيا طبيبات كثيرات اشتهرنَ في الطب . اما بلاد الانكليز فلا يظهر انهُ قام فيها طبيبة درست الطب درساً قانونيًّا قبل هذا العصر . وقد كثر الآن عدد متعلمات الطب والمشتغلات فيهِ في اوربا واميركا وعددهنَّ يزداد يوماً فيوماً ولا عجب ان المرأة التي خصتها العناية باللطف والصبر وحسن العناية جديرة بالتطبيب والتمريض كالرجل ان لم تكن اجدر منهُ بهما » انتهى

وقد عانت النساء في انكلترا مشقة عظيمة للانتظام في سلك طلبة الطب فمنذ نحو خمسين سنة تقدمت سبع سيدات انكليزيات برآسة المس جكس بلايك الى عمدة جامعة ادنبرج في اسكتلندا طالبات دخول القسم الطبي فيها لدرس فنّ الطب . فأُجبن الى طلبهن عن كراهية وبعد مصاعب جمة . وما كدن ينتظمن في سلك الدروس حتى أُلقيت العراقيل في سبيلهنّ فلم يسمح لهنّ بحضور فرق الطلبة من الشبان ولا بالاشتراك في الكلينيك فاضطررْن ان يستجرن ببعض كرام الاطباء فكانوا يلقون عليهنّ دروساً خاصة . وطلب منهنّ ضمان ماليّ قدرهُ مئة جنيه اجرة التعليم السنوية . ولقين شديد الاضطهاد من الطلبة زملائهنّ

فكان غلاظ القلوب منهم يتجمهرون عليهنّ في الاسواق ويصفرون لهنّ استهزاء ويرشقونهنّ بالعصيّ والحجارة

وبالرغم من ذلك كلهِ دأبن في دروسهنّ وكنّ يتنقلن بين منازلهنّ وغرف الدرس والخطب بحراسة بعض كرام الطلبة . فابدين في دروسهنّ حذقاً وكفاءة ولسوء حظهنّ قررت عمدة المدرسة اعطاء احداهن جائزة في الكيمياء . فهاج الطلبة وماجوا وحاولت عمدة الجامعة اقناع احد من كبار اساتذتها برآسة الاحتفال الذي كان في النية عقده لمنح تلك الجائزة فلم يقبل احد فأُلغي الاحتفال

وما زالت مصاعبهنّ تتوالى حتى وجدن ان لا فائدة لهنّ من ملازمة الدروس في تلك الجامعة فهجرنها وقصدن لندن طالبات دخول احدى مدارسها الطبية الشهيرة فلم تكن العقبات التي صادفنها اهون مما كان في جامعة ادنبرج . ذلك بان الاطباء اساتذتها كانوا يعتقدون عن حسن نية ان المرأة لا تصلح لفنّ الطب من حيث مزاجها وتربيتها وعقلها ولا للقيام بمطالبهِ العلمية والجراحية . يضاف الى ذلك حسد الطلبة ومقاومة جمعياتهم التي تدافع عن مصالحهم واشمئزاز الجمهور من اقدام النساء على درس الطب ولاسيما انهم كانوا يعتقدون ان المرأة ليست كفوءًا للرجل في القوى العقلية ولما اظهرن على مرّ الزمان انهنّ لسن دون الرجال في ذلك بقي الجمهور زماناً طويلاً يستنكف من دعوة طبيبة لعملية جراحية اولتوليد حامل ذهاباً الى انهنّ ضعيفات الاعصاب رقيقات القلوب

واخيراً سمح لهنّ بدخول تلك الكلية مع سبع رفيقات اخريات فصار عدد الطالبات اربع عشرة طالبة . ثم لم يكن الاَّ القليل حتى زاد الى اربع وثلاثين طالبة . فعين لهنّ اساتذة يلقون عليهنّ الخطب ولكن صعوباتهنّ لم تنتهِ واعظمها رفض مدارس لندن الطبية وكان عددها حينئذٍ ١٩ مدرسة — ان تقبلهنّ في امتحاناتها . ومثل هذه الصعوبة في عظمها انهُ لم يقبل مستشفى من مستشفيات لندن الكبرى وعددها ١٢ ان يسمح لهنّ بالتمرن فيهِ . وبلا هذين الامرين لا يمكنهنّ ممارسة صناعتهنّ . على ان هاتين العقبتين مهدتا لما فتحت احدى كليات ارلندا الطبية ابوابها في وجوه الطالبات واعلنت انها تمنح الشهادات لمن يكمل دروسهُ منهنّ فيها . وقرر احد مستشفيات لندن ان لا يردّ طبيبة تطلب التمرن فيهِ واسمهُ المستشفى الملكي الحرّ وهو من مستشفيات لندن الكبرى

ولهذا المستشفى حكاية تستحق الذكر . فحواها ان طبيباً شاباً اسمهُ مارسدن كان يتمرن في احد مستشفيات لندن وبينما هو عائد ذات يوم الى منزلهِ لقي امام احدى الكنائس فتاة تنقل

عليها المرض فوضعها في مركبة ودار بها على ابواب المستشفيات ملتمساً ادخالها في احدهنّ لمعالجتها فلم يجب الى طلبهِ بدعوى ان ليس معها كتاب توصية من احد المكتتبين بالمال لتلك المستشفيات . واخيراً ماتت الفتاة فعقد مارسدن العزيمة من ذلك الحين على السعي في انشاء مستشفى في لندن يقبل الفقراء المرضى . فوفّق الى بناء المستشفى المذكور بمساعدة بعض اصحابهِ الاغنياء . واتفق ان المستشفى كان الوحيد الذي لم يكن فيهِ مدرسة طبية ملحقة بهِ . وكان يعلم ما في انشاء مدرسة طبية للذكور والاناث من المصاعب للاسباب المتقدمة فقررت لجنتهُ انشاء مدرسة للاناث فقط . ولكنها لم تتمكن من ذلك الاَّ بعد تمهيد صعاب جمة من ميل الرأي العام حينئذٍ وقوة الخصوم وضعف الانصار . ومما يدلّ على تلك الصعاب ان مجلس ادارة المدرسة أُجبر ان يدفع الى المستشفى اعانة سنوية وان يعطيهُ كلّ ما تكسب المدرسة من اجور الكلينيك

وبعد ذلك بقليل قررت جامعة لندن الشهيرة ان تمنح شهاداتها الطبية للطالبين والطالبات على السواء . ولكنها لم تبلغ هذا القرار الاَّ بعد معارضة شديدة من بعض اعضاء مجلس ادارتها حتى ان احدهم وهو السر وليام جنر قال في حديث خير لي ان امشي وراء ابنتي الوحيدة الى القبر من ان اراها طبيبة . فأجابهُ طبيب آخر مشهور لا يزال حيًّا الى الآن ان المسئلة لا تتعلق الآن ببنتك بل ببنات غيرك

ومضت سنون كثيرة كانت محكًّا للطالبات والطبيبات وضرب حولهنّ نطاق من عيون الارصاد هذا يرنو اليهنّ بعين الرضى والاشفاق وذاك يشزرهنّ بعين السخط والانتقاد . وخشي بعض انصارهنّ ان يتمادين في اظهار رقة القلب عند ممارسة مهنتهنّ ولكن غيرهم خشوا ضدّ ذلك — اي انهنّ يفقدن هذه الموهبة العالية . كذلك خشي كثير من انصارهنّ انهنّ يقصرن في اظهار اصالة الرأي وحسن السياسة والكياسة في صناعتهنّ وهي صفات لازمة للاطباء . فدلّت التجارب على انهنَّ لا يختلفن عن الاطباء وانهنّ يشاركنهم في معظم محاسنهم ومساوئهم

بقيت عقبة عظيمة امامهنّ وهي ان المدرسة الطبية المشهورة والمعروفة باسم « الكلّية الملكية للاطباء والجراحين » رفضت اعطاء شهادتها للنساء . وفي كثير من المستشفيات الكبرى والمعاهد الطبية العمومية قانون يمنع توظف طبيب لا تكون معهُ تلك الشهادة . ففي سنة ١٨٩٥ كتب مجلس ادارة مدرسة الطب النسائية في لندن عريضة امضاها اطباء المستشفى الملكي الحرّ واساتذة المدرسة الطبية الملحقة بهِ وعدد غفير من اطباء لندن المستقلين

وأرسلت هذه العريضة الى الكليات المذكورة وقد رجا اصحابها منها ان تجيب النساء الطبيبات الى مطاليبهنّ . ولكنها رفضت ذلك باغلبية قليلة

فصبرت مدرسة الطب النسائية ١٤ سنة وعادت فكتبت عريضة اخرى بالمعنى المتقدم فاجيبت هذه المرة الى طلبها حالاً . فاقبلت الطالبات على الكليات ايما اقبال وعددهنّ كلّ سنة في ازدياد وهنّ يخرجن منها افواجاً حاملات شهاداتهنّ

اما الجمعيات الطبية فظلّت تتنكب الطبيبات حتى اضطر المجمع الطبي البريطاني المشهور الى قبول المسز جاريت اندرسون سنة ١٨٧٨ عضواً فيهِ لا رغبة منهُ فيها بل عن خطإٍ لفظي في نصّ قانونهِ . و بعد قبولها اصلح ذلك الخطأَ ثم اقفل الباب اقفالاً محكماً وراءها ودون سائر الطبيبات اخواتها ولكنهُ ندم سنة ١٨٩٢ على ما فعل ومن هذا التاريخ فتح بابهُ في وجه الطبيبات يقبلهنّ في عضويتهِ كالرجال. وحذا بعض الجمعيات الطبية حذوهُ واشتدّ النضال على دخولهنّ في جمعية امراض النساء وجمعية التوليد وجمعية استعمال المخدرات ولكنهن قبلن اخيراً فيها لشدة الحاحهنّ وعظم مقاومتهنّ وحسن وساطة بعض اخوانهنّ من كبار الاطباء .ومن عهد قريب اتحدت اكثر جمعيات لندن الطبية على تأليف « الجمعية الملكية الطبية » فاخذت اعضاءها من النساء معها الى هذه الجمعية ولكن بعد مقاومة طالت ولم يكن للنساء في اثنائها شرف الانتماء اليها واخذ لقب « فلو » الذي يعطى لاعضائها . ثم أُعطين هذا اللقب اخيراً

وهناك ما يدلّ على ان سائر مدارس لندن الطبية تنوي قبول الطالبات فيها بلامعارضة. وقد افادت الحرب الطبيبات فائدة كبيرة اذ كثر طلبهنّ فبات الموجود منهنّ دون المطلوب. ومن رأي العارفين ان ذلك الطلب يبقى بعد الحرب كما هو الآن ولاسيما ان الميل الى استخدامهنّ في المعاهد المختلفة ومنها دوائر الحكومة بدا واشتدّ قبل الحرب. فمنهنّ موظفات في وزارة التجارة والداخلية والمعارف وقومسيون التأمين على العمال . ومضت ثلاثون سنة وهنّ يستخدمن في وزارة البوستة . وفي انكلترا وويلس ٣٣ طبيبة من طبيبات الصحة . واستخدمت كثيرات منهنّ طبيبات في سجون النساء ومستشفيات المجذوبات . ومنهنّ طبيبات يستخدمن في جمعيات التبشير بالانجيل في جميع انحاء الكرة

توزّع الثروة في انكلترا

وسدّ نفقات الحرب

يقدر ما تنفقهُ انكلترا على الحرب الآن بمبلغ ١١٠٠ مليون جنيه في السنة ويقدر دخل الامة الانكليزية في السنة بما يزيد على ٢٢٠٠ مليون جنيه اي ان نفقة الحرب السنوية نصف دخل الامة السنوي

والانكليز فريقان من حيث ايفاء هذه النفقات فريق يرى ان تسدّ بعقد القروض ويوزع ذلك على عدد من السنين . وفريق يرى ان تسدّ من دخل الامة السنوي بضرائب تضرب على الدخل او الخرج وتحصر في فئة الاغنياء او تشمل جمهور الامة على السواء

ولادراك دخل الامة الانكليزية في السنة بعض الادراك نقول ان متوسط دخل الفرد منها قبل معركة ووترلو بلغ ٢٢ جنيهاً ما عدا الضرائب فاذا اسقطت منهُ لم يتجاوز ١٧ ½ جنيه . اما متوسط ايرادهِ اليوم فيبلغ ٥٠ جنيهاً قبلما تطرح منهُ نفقات الحرب . فيظهر من ذلك انهُ يمكن ايفاء نفقات الحرب من الدخل ويبقى في يد كل فرد ٢٥ جنيهاً على التعديل وهذا الباقي هو اكثر من متوسط دخل الفرد السنوي منذ مئة سنة

قلنا ان بعض اهل الرأي يرون ان يحمّل اغنياءُ الامة الانكليزية اعباء نفقات الحرب الحاضرة بحصر الضرائب فيهم . فمن هم الاغنياء . وللجواب عن هذا السؤال لا بدَّ من معرفة الكيفية التي توزع بها الثروة على السكان فنقول :

تقدم القول ان دخل الامة الانكليزية السنوي يقدر بما يزيد على ٢٢٠٠ مليون جنيه . وهذا التقدير مبنيٌّ على احصاء لثروة الامة الانكليزية تمّ سنة ١٩٠٧ واتضح منهُ ان دخلها حينئذٍ بلغ ٢١٠٠ مليون جنيه . ومن رأي الاحصائيين الخبيرين ان ذلك الدخل زاد الآن ١٠ في المئة عما كان في السنة المذكورة فليس في تقديرهِ بما يزيد على ٢٢٠٠ مليون مبالغة . ويؤْخذ من تفاصيل احصاء سنة ١٩٠٧ ان ٩٨٠ مليونًا من المبلغ المذكور دخْل اهل الثروة . و١٠٥٠ مليونًا دخْل العمَّال ومتوسط ما يخصّ الفرد منهم رجالاً ونساء واولاداً ٦٢ جنيهاً . و٢٠٠ مليون دخْل اصحاب الاشغال العقلية من كتبة ومعلمي مدارس ونظار الدوائر الصغيرة وغيرهم ممَّن لا تزيد اجرة الواحد منهم على نحو ١٢ جنيهاً في الشهر او نحو ٣ جنيهات وكسور في الاسبوع كما هو الحساب في انكلترا

وبين الانكليز الوف من اهل الدخل الوافر الذي يقدر بعضهُ بالملايين · وفيهم ملايين يتراوح دخل الواحد منهم بين نحو جنيهين ونصف و ١٢ جنيهاً في الشهر · فلو أُريد سدّ نفقات الحرب من دخل الامة السنوي باخذ نصف الدخل من الجميع على السواء لما امكن ذلك لان كثيرين لا يكاد دخلهم يكفيهم فاذا اخذ نصفهُ ماتوا جوعاً · فلا بدّ والحالة هذه من توزيع نفقات الحرب على غير نسبة الدخل

وهناك فريق يقول بتحميل الاغنياء نفقة الحرب دون غيرهم وهذا يوجب علينا تعريف الاغنياء كثيراً والاغنياء قليلاً · والبحث لمعرفة عددهم ومجموع ما تملك ايديهم

سئلتْ سيدة انكليزية قرينة سياسي معروف ومن اهل الهيأة الاجتماعية العليا كم من الانكليز يزيد دخل كلٍّ منهم سنويًّا على راتب قرينها السنوي (قدرهُ ٥ آلاف جنيه) فقالت خمسة ملايين !! · فان كانت سيدة هذه حالها تجيب بمثل هذا الجواب فما بالك بابن السبيل الذي لا وصول لهُ الى الهيأة الاجتماعية العليا ولا اطلاع على اسرارها ودخائلها · فلو صحّ قول السيدة ان في انكلترا خمسة ملايين رجل دخل الواحد منهم في السنة اكثر من ٥ آلاف جنيه لبلغ مجموع دخلهم في السنة خمسة آلاف مليون جنيه على الاقل او اثني عشر ضعف الدخل السنوي المقدر لاهل انكلترا وارلندا معاً

يقدرون ان في انكلترا نحو ٢٠٠ الف نفس دخل الواحد منهم اكثر من ٧٠٠ جنيه في السنة وهم مقسومون كما في الجدول الآتي

حد الدخل	عدد الافراد	متوسط الدخل	مجموع الدخل
فوق ٧٥ الف جنيه	١٠٠	١٥٠ الف جنيه	١٥ مليون جنيه
بين ٤٥ و٧٥ الف جنيه	٢٠٠	٥٠ « «	١٠ « «
« ٢٥ و ٤٥ «	٥٠٠	٣٤ « «	١٧ « «
« ١٠ و ٢٥ «	٢٥٠٠	١٧ « «	٤٢ « «
« ٥ و ١٠ «	٦٧٠٠	٧ « «	٤٦ « «
« ٣ و ٥ «	١٥٠٠٠	٤ « «	٦٠ « «
« ١ و ٣ «	٤٥٠٠٠	٢٢٠٠ « «	١٠٠ « «
« ٧٠٠ و ١٠٠٠ جنيه	١٢٠٠٠٠	٨٣٠ « «	١٠٠ « «

فالمجموع نحو ٤٠٠ مليون جنيه

فلو فرضت الضرائب على اصحاب الملايين دون غيرهم لسدّ نفقات الحرب وجعل مقدار الضريبة الدخل كلهُ لاجتمع منهم ما يسدّ نفقات الحرب ٨ ايام فقط · ولو كانت الضريبة نصف الدخل لاجتمع ما يكفي لسدّ النفقات ٤ ايام لاغير · ولو كانت ٧ شلنات في الجنيه لاجتمع ما يكفي سد النفقات ٣ ايام

هذا فيما يخص اصحاب الملايين · ولنفرض الآن ان الضرائب فرضت على كل من يزيد دخلهُ على ١٠ آلاف جنيه في السنة · فاذا كانت الضريبة تساوي الدخل كلهُ اجتمع منها ما يسدّ نفقات الحرب شهراً · واذا كانت نصف الدخل اجتمع ما يسدّ النفقات نصف شهر واذا كانت ٧ شلنات في الجنيه اجتمع منها ما يسدّ نفقات ½ ٩ يوم

واذا فرضت الضرائب على كل من يزيد دخلهُ على خمسة آلاف جنيه اجتمع منها ما يكفي لسدّ نفقات الحرب ٦ اسابيع اذا كان مقدار الضريبة مساوياً للدخل كلهِ · و٣ اسابيع اذا كان مساوياً لنصف الدخل · واسبوعين اذا كان ٧ شلنات من كل جنيه

واذا فرضت على كل دخل يزيد على ٣ آلاف جنيه اجتمع منها ما يسدّ نفقات الحرب شهرين اذا بلغت الضريبة الدخل كلهُ · وشهراً اذا بلغت نصف الدخل · وثلاثة اسابيع اذا كانت ٧ شلنات في الجنيه

واذا فرضت على كل دخل يزيد على الف جنيه سدت نفقات الحرب ٣ اشهر اذا بلغت الدخل كلهُ · و ٦ اسابيع اذا بلغت نصف الدخل · وشهراً اذا كانت ٧ شلنات في الجنيه

اما اذا فرضت على كل دخل اكثر من ٧٠٠ جنيه فانها تسدّ نفقات الحرب ٤ اشهر اذا كانت الدخل كلهُ · وشهرين اذا كانت نصف الدخل · و ½ ٦ اسبوع اذا كانت ٧ شلنات في الجنيه

وغنيٌّ عن البيان ان فرض ضريبة قدرها الدخل كلهُ مستحيل ومع ذلك لا يكفي فرضها على جميع الاغنياء ممن يزيد دخلهُ على ٧٠٠ جنيه في السنة الاَّ لايفاء ثلث نفقات الحرب السنوية على الكثير (نحو ٤٠٠ مليون) فيبقى نحو ٧٠٠ مليون جنيه لا بدّ من اخذها من جمهور الامة بطريقة من الطرق . ولو اسقطنا من دخل الامة سنة ١٩٠٧ كل دخل يزيد على ٧٠٠ جنيه في السنة (اي نحو ٤٠٠ مليون جنيه) لبقي لدينا ١٧٠٠ مليون · ومعنى ذلك ان جمهور الامة الذين يقلّ دخل الواحد منهم عن ٧٠٠ جنيه في السنة يجب ان يدفعوا ٤٢ في المئة من دخلهم لسدّ نفقات الحرب السنوية

ولو سأل سائل كم يمكن ان يؤخذ منهم بالضرائب لسدّ هذا المبلغ لوجب قبل الجواب ان تفصل موارد دخلهم كما فصلت موارد دخل الاغنياء قبلهم . فنقول

في انكلترا نحو ٢٠ مليون شخص دخل الواحد منهم اقل من ٧٠٠ جنيه في السنة . ومن هؤلاء مليون نفس او اكثر دخلهم بين ٧٠٠ جنيه و ١٦٠ جنيهاً . ونحو مليونين متوسط دخل الواحد منهم ١٠٠ جنيه وليس فيهم من يزيد دخلهُ على ١٦٠ جنيهاً . و١٧ مليوناً من اصحاب الاعمال اليدوية متوسط دخل الواحد منهم ٦٢ جنيهاً . فمن اصعب الصعاب فرض ضريبة قدرها ٤٢ في المئة على موارد دخل هذا مقدارها . ذلك لان قسماً كبيراً من العمال مؤلف من الاولاد صبياناً وبنات ومتوسط اجرة الواحد منهم اقل من نصف المتوسط العام . فاذا استثني هؤلاء من الضريبة ارتفع متوسط دخل العامل من ٦٣ الى ٧٠ جنيهاً في السنة ولكن يفقد نحو ٩٠ مليوناً من دخل العمال كلهم فيبقى نحو ٩٨٠ مليون جنيه . ثم ان ٩٠ في المئة من العاملات و ١٦ في المئة من العمال اجورهم قليلة جدًّا لا تحتمل الضرائب فيجب استثناؤهم منها . وعددهم ٣ ملايين ومقدار اجورهم السنوية ١٢٠ مليوناً . فيبقى ١١ مليوناً من العمّال الذين يمكن فرض الضرائب عليهم والذين يتراوح دخل الواحد منهم بين ٦٠ و ١٦٠ جنيهاً . ومجموع دخلهم ٨٩٠ مليوناً

اما المليون او اكثر الذين يزيد دخل الواحد منهم على ١٦٠ جنيهاً حتى ٧٠٠ جنيه فمقسومون هكذا : ٩٢٠ الفاً دخلهم بين ١٦٠ جنيهاً و ٤٠٠ جنيه فالمجموع ٢٤٠ مليوناً . و ٢٥٠ الفاً دخل كلٍّ منهم بين ٤٠٠ و ٧٠٠ جنيه فالمجموع ١٥٠ مليوناً . والمجموع الكلي ٣٩٠ مليوناً

وهناك صغار اصحاب الاشغال العقلية ومتوسط دخل الواحد منهم ١٠٠ جنيه ومجموع دخلهم ٢٢٠ مليوناً

فمجموع الايرادات التي لا يزيد الواحد منها على ١٦٠ جنيهاً في السنة هو ١٣٠٠ مليون جنيه منها ١١٠٠ مليون مجموع الايرادات التي لا يزيد الواحد منها على ٦٠ جنيهاً في السنة ومجموع الايرادات بين ٦٠ جنيهاً و ٧٠٠ جنيه هو ١٥٠٠ مليون واذا اضفنا هذا الرقم الاخير الى الايرادات التي تزيد على ٧٠٠ جنيه بلغ المجموع ١٨٦٠ مليوناً يمكن فرض الضرائب عليها ما عدا ١٠ ملايين « تخصم » لحساب الاحسان . وهاك جدولاً يفصلها لزيادة فهمها في حساب ما تحتملهُ كل فئة منها من الضرائب :

حد الدخل السنوي	عدد الافراد	متوسط الدخل	المجموع
بين ٦٠ و٦٥ جنيهاً	٤ ملايين	٦٢ جنيهاً	٢٥٠ مليوناً
« ٦٥ و١٦٠ «	٩ «	١٩٣ «	٨٥٠ «
« ١٦٠و٤٠٠ «	٩٢٠ الفاً	٢٦٠ «	٢٤٠ «
« ٤٠٠و٧٠٠ «	٢٥٠ «	٦٠٠ «	١٥٠ «
« ٧٠٠و١٠٠٠ «	١٢٠ «	٨٣٠ «	١٠٠ «
« ١٠٠٠و٣٠٠٠ «	٤٥ «	٢٢٠٠ «	١٠٠ «
« ٣٠٠٠و٥٠٠٠ «	١٥ «	٤٠٠٠ «	٦ «
« ٥٠٠٠و٤٥ الفاً	٩٧٠٠	١١٠٠٠ «	١٠٥ «
فوق ٤٥ الفاً	٣٠٠	٨٠ «	٢٥ «
	١٤٨٦٠٠٠٠		١٨٨٠٠٠٠٠٠٠

فلنأخذ الآن كل فئة بمفردها لنعلم كم تستطيع احتمالهُ من حمل الضرائب

(١) من ٦٠ الى ٦٥ جنيهاً : من رأي الخبيرين انهُ اذا أُريد فرض ضريبة على هذه الفئة من الدخل وجب ان لا تكون اقل من نصف شلن في الجنيه او $\frac{1}{2}$ ٢ في المئة

(٢) من ٦٥ الى ١٦٠ : يقترح الخبيرون ان تجعل ضريبة هذه الفئة ١٠ بنسات في الجنيه

(٣) ما كان متوسطهُ ١٠٠ جنيه : شلن في الجنيه

(٤) من ١٦٠ الى ٤٠٠ جنيه : شلن وثلث في الجنيه

(٥) بين ٤٠٠ و ٧٠٠ : شلنان «

(٦) « ٧٠٠ و١٠٠٠ : $\frac{1}{2}$ ٢ شلن «

(٧) « ١٠٠٠ و٣٠٠٠ : $\frac{1}{4}$ ٣ « «

(٨) « ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ : ٦ « «

(٩) بين ٥٠٠٠ و ٤٥٠٠٠ : ١٠ « «

(١٠) فوق ٤٥٠٠٠ : ١٥ « «

ومما تجب الاشارة اليهِ ان هذه الضرائب هي غير التي تدفع لسدّ نفقات الحكومة العادية . فاذا عمل بهذا الاقتراح كانت النتيجة كما في الجدول التالي :

عدد الايرادات		الحاصل
بين ٦٠ و ١٦٠ جنيهاً :	١٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٤٣ مليون جنيه
« ١٦٠ و ٧٠٠ « :	٠١١٧٠٠٠٠	٠٣١ «
فوق ٧٠٠ « :	٠٠١٩٠٠٠٠	١١٨ «
		١٩٢ مليونًا

فمجموع الحاصل من هذه الضرائب نحو ١٩٢ مليون جنيه · ولو خفضت ضرائب الفئات الثلاث العليا عما قدر لها وزيدت ضرائب الفئات الثلاث الدنيا التي لا يزيد دخلها على ١٦٠ جنيهاً لما اختلفت النتيجة كثيراً

هذه هي خلاصة آراء الذين يقولون بفرض ضريبة على الدخل · ولكن هناك قوماً يقولون بفرض ضريبة على الخرج دون الدخل فيخصّ اهل البذخ والترف الجانب الاكبر منها وتكون اوفر من ضريبة الدخل . ولكن ضريبة مثل هذه لا تجدي نفعاً كبيراً الاّ اذا وقعت على الكماليات دون الحاجيات وكان يشترك في تلك الكماليات جزء كبير من الامة · واهم هذه الكماليات الاشربة الروحية · فان الامة الانكليزية تنفق عليها سنوياً مئة مليون جنيه منها ٥ ملايين نفقة الخمور وهذه يشترك فيها الغني والفقير على السواء · اما الكماليات التي يختص بها الغني دون الفقير فقليلة القيمة فضلاً عن ان الغني يقلل من استهلاكها اذا رأى فداحة الضرائب عليها · خذ لذلك الشمبانيا مثلاً · فان ثمن ما استوردتهُ انكلترا منها سنة ١٩٠٧ يكفي لسدّ نفقات الحرب ٢٦ ساعة فقط وما استوردتهُ سنة ١٩٠٩ يكفي لسدها ١٩ ساعة

وقد اقترح بعضهم ان تفرض الضرائب على الاتوموبيلات وغيرها من الكماليات ولكن ردّ العارفون على هذا القول بان كل ما يجمع من امثال هذه الضرائب لا يسدّ الاّ ثغرة صغيرة في نفقات الحرب الهائلة فلا يفي بالمراد

وليس لسدّ نفقات الحرب سوى ثلاثة طرق : الاول زيادة ضريبة الايراد · والثاني زيادة ضريبة النفقة · والثالث عقد القروض · اما الاول فلا يسد سوى خمس نفقة الحرب على اكبر تقدير كما تقدم · واما الثاني وان يكن قليل الفائدة المادية لسد نفقات الحرب فانهُ يفيد الامة فائدة عظيمة لانهُ يحملها على الاقتصاد اجتناباً للضرائب · وفي ذلك ما فيهِ من عظم الفائدة المادية والادبية · واما القروض فسيأتي الكلام عليها في مقالة اخرى

حديث في سنة ١٩٠٥

المانيا وانكلترا — المانيا والنمسا

نشر المستر جراندي احد مشاهير ادباء الانكليز مقالة في مجلة القرن التاسع عشر لخّص فيها حديثاً سياسياً جرى بينهُ و بين نبيل نمسويّ كان سكرتيراً لسفارة دولتهِ في احدى عواصم اوربا سنة ١٩٠٥ وقدّم لها مقدمة قال فيها : كنت انوي نشر هذا الحديث في حينهِ ولكنني رأيت قبل ذلك ان استأذن صاحبهُ في نشرهِ فقال لي باسماً لا اسمح لك بنشرهِ ما دمت حيًّا . ذلك لانهُ انكليزي الميل ولانهُ اطلق لنفسهِ العنان في حديثهِ وبالغ في الصراحة . وفي سنة ١٩١٢ علمت انهُ مات فاصبحت طليقاً فعمدت الى مذكرة كنت قد دونت فيها الحديث ووضعتها حيث لم امسها منذ سنة ١٩٠٥ . وكان موضوع الحديث سلوك المانيا مع انكلترا وعلاقتها بالنمسا فوجدت في المذكرة ما يأتي . قال محدّثي :

« تسألني هل اعرف برلين . نعم اني اعرفها لاني كنت من موظفي سفارتنا فيها في اوائل عهدي بالخدمة السياسية . وصادقت كثيرين من اهلها وكنت ازورهم آناً بعد آن . ولا انكر ان النمسويين من اهل الطبقة العليا قلما يصادقون البروسيين من اهل المانيا حتى انني انا نفسي لا ارى رأي الهيأة الحاكمة من اهل برلين ولا اميل ميلها وان كنت اعرفها تمام المعرفة . فان النبيل البروسي يختلف كل الاختلاف عن النبيل النمسوي وفيهِ اشياء كثيرة نفهمها واشياء اخرى لا نفهمها وكثير من هذا وذاك نمقتهُ . وانتم الانكليز تظنون ان المانيا امبراطورية مطلقة الحكم للامبراطور اليد العليا فيها . ولا ينكر ان في المانيا من الحكم المطلق ما ليس في روسيا لان نظام البيروقراطية (١) ليس مستحكماً فيها استحكامهُ في روسيا (٢) . ولكن نبلاء بروسيا والبيروقراطية الالمانية قوة كافية لابطال كل عمل يريد الامبراطور عملهُ ولا يوافقون عليهِ . ومع ذلك فان تبعية النبلاء لدولة هوهنزلرن تبعية حقيقية لا ريب فيها . فالنتيجة توازن القوتين .

وتسألني عن عداوة المانيا لانكلترا فاجيب اني عاشرت كثيرين من الانكليز وخصوصاً موظفي السفارات ولكنني لم ارَ واحداً منهم فهم هذه المسئلة حق فهمها . فانكم انتم الانكليز سكان جزيرة ومبالغون في العزلة بالطبع رغم انتشاركم في جميع جوانب

(١) اي الحكومة التي دوائرها مستقلة بعضها عن بعض

(٢) هذا ما ورد في المذكرة ولكنني لا ارى وجه صحتهِ بمعنى من المعاني

الارض . وعندكم انكم اذا كنتم غرضاً لشيء فانتم كلّ الغرض فلذلك تزعمون ان عداوة المانيا لكم هي الغرض الاسمى للسياسة الالمانية الحديثة . اما نحن النمسويين فنعلم ان الامر ليس كذلك ولكن يظهر لي ان لا امل في اقناعكم بغير ما تعتقدون من هذا القبيل . وربما كان سبب عجزي عن ذلك صعوبة بسط هذه المسئلة المعقدة ولكن لا بأس ببسطها على قدر المستطاع

في سياسة المانيا الداخلية ثلاثة عناصر : عنصر النبلاء اصحاب الاملاك . وعنصر التجار واصحاب المعامل ورؤُوس الاموال ومعظمهم يهود . وعنصر العمال وخصوصاً اهل المقاطعات الوسطى والغربية . وربّ سائل يسأَل وما شأن ملوك البلاد الالمانية الاخرى غير بروسيا ونبلاء المانيا الجنوبية . اما عن الاول فاقول ان حرب سنة ١٨٦٦ أَرت ملوك المانيا وامراءها منزلتهم . واما عن الثاني فاقول ان مطامع اعيان الجنوب في المانيا اجتماعية اكثر منها سياسية . وقد كان هواهم معنا منذ خمسين سنة او اقلّ اما الآن فتلوح لهم النمسا امبراطورية مضعضعة الحال مشرفة على الخراب فيميلون الى القوي عن الضعيف ويمكن حسبانهم بين مؤيدي اريكة هوهنزلرن وسياستها كالنبلاء ما دامت هذه السياسة تؤيد سيادة الطبقات العليا

اما من حيث علاقة النبلاء الالمان بكم فاقول انهم لا يرومون حكمكم كما تتصورون بل يرومون حكم المانيا ولا شأن لكم لديهم الاَّ حيث تتهددون ذلك الحكم . تقول لي وما هي علاقة الحكم في المانيا بعداوة انكلترا . فاجيب انهُ يعسر عليك ان توضح مسئلة لرجل يجهلها ولاسيما اذا كان يعتقد انهُ يعلمها . خذ المانيا قبل سنة ١٨٦٦ او سنة ١٨٧٠ تجد ان حركتها التجارية لم تكن قد بدأَت وان تجارتها الاجنبية كانت حقيرة وهي فقيرة . لكن قابلية التقدم والارتقاء كانت هناك لان نظام التعليم متين مبنيّ على العقل ولاغنى لتقدم البلاد الفعلي عن اتحادها السياسي ليكون التاجر من اهلها اميناً على حقوقهِ التجارية في البلاد الاجنبية . وقد يعجب الانكليز الذين قرأُوا تاريخ المانيا قبل سنة ١٨٦٦ كيف ان ممالك المانيا واماراتها الجنوبية التي كانت حينئذٍ تمقت بروسيا والبروسيين اعطتها قيادها بعد سنة ١٨٧٠ ومشت في اثرها صاغرة . وبيان ذلك ان خوف بروسيا كان يملأُ قلبها ثم تبدّل ذلك الخوف مصلحة . سلْ المانيًّا من الجنوب كيف يرضى ان ينقاد الى بروسيا . فان كان من ورتمبرج مثلاً اجابك بما ملخصهُ : « انا من ورتمبرج . وكنت قبل سنة ١٨٧٠ اذا تاجرت مع بلد اجنبي وقام بيني

وبين احد من اهلهِ خلاف التجأت الى حكومة بلادي الصغيرة اما الآن فارى ورائي امبراطورية المانيا برمتها وشتان بين الاثنتين »

اشرت في كلامي الى نظام التعليم في المانيا . واقول في شرحهِ ان الالماني يبني جميع اعمالهِ على مقتضى العقل والحاجة ويبالغ في ذلك كل المبالغة فيعطي العالِم تعليماً نظريًّا والعامل تعليماً فنيًّا عمليًّا . اما انتم الانكليز فقد اخبرني اخي وكان من موظفي سفارتنا في لندن ان على رأس نظامكم التعليمي قوماً من الذين يذهبون مذاهب لا علاقة لها بحقائق هذه الحياة . فعندكم في طبقة العمّال مادة بديعة للعمل ولكنكم تربون العامل تربية نظرية اكثر منها عملية وتكتفون بان تعطوا الذين يشتغلون بادمغتهم تعليماً فنيًّا صرفاً . والنتيجة ان تعليمكم النظري واطئ كثيراً في صفتهِ لان ٩٩ في المئة من الذين يعلَّمونهُ لا طاقة لهم على التقدم فيهِ . فانهم يعلَّمون اموراً نظرية حيث يجب ان يعلَّموا اموراً فنية عملية . اما المانيا فان غاية النظام التعليمي فيها اعداد كلّ انسان لما خُلق لهُ وفطر عليهِ لتجني الامة اعظم نفع مستطاع منهُ . لكنَّ علماءَكم يحاولون ان يغرسوا في اذهان الكثيرين افكاراً وآراء لا يطيقها الاَّ اهل العقول الكبيرة . ولست اعلم نتيجة ذلك في بلادكم ولكنني لا اظنها نتيجة صالحة

وقد كانت نتيجة التربية الفنية العملية في المانيا جعل العامل الالماني كفوءًا فعّالاً الى حدّ يفوق المعتاد . وزاد كفاءتهُ ان اصحاب المعامل الالمانية استخدموا لاصلاح طرق العمل القديمة واختراع طرق جديدة رجالاً ربّوا تربية علمية تامَّة فكانت النتيجة كما كان ينتظر . ولكن غاب عن الهيأة الحاكمة في المانيا قبل تدريب العامل على الاعمال ليخرج تامّ الكفاءة ان هذه الكفاءة هي في الغالب ام الطموح الى العلاء لا بنتهُ . فان العامل الالمانيّ اصبح ولاهمّ لهُ الاَّ اصلاح حالتهِ الاقتصادية والمدنية والسياسية بين قومهِ فاستعان بالاشتراكية متخذاً اياها واسطة لبلوغ تلك الغاية . وقد يخيّل اليّ واليك ان الاشتراكية عبث ولهو باطل ولكن العامَّة من الامم تقبل كلّ مذهب سياسي سواءٌ كان اشتراكيًّا او غير اشتراكي بلا بحث ولا جدل بشرط ان ترى فيهِ سبيلاً الى اصلاح حالها . والحركة الاشتراكية في المانيا آخذة في الانتشار بسرعة وقد افضى انتشارها كما علمت الى خوف شديد في دوائر الحكومة . وليس هذا الخوف خوف حكومة ابوية تريد خير اولادها ومنعهم من السير في سبل تؤدي بهم الى البوار بل خوف طبقة حاكمة ترى سيادتها مهددة . وهذه الطبقة سادت سيادة حقيقية لا شبه لهُ في اوربا ما خلا روسيا

فهذا الامر في سياسة المانيا هو الذي جعل كثيرين من الانكليز ينظرون اليها بعين الشبهة والقلق اذا صحت اقوال صحفكم · وقد مضت سنين كثيرة ولا شغل للهيأة الحاكمة في المانيا الأ التغلُّب على هذه الحركة الجمهورية لاضعافها سياسيّاً ان لم نقل لسحقها · فرأى الامبراطور ان لا واسطة لذلك الأ ايجاد مصلحة مشتركة بين طبقات المانيا الثلاث لانهُ لا جامعة حبّ بينها · ولا ينتظر من الطبقة التجارية ومعظمها من اليهود ومصالحهم سائدة فيها ان يعطفوا على هيأة حاكمة تعاملهم بالامتهان من الوجهة الاجتماعية · ثم ان اهل الطبقة الدنيا يكرهون المتمولين من الطبقة الوسطى نظراً وعملاً والهيأة الحاكمة بعيدة عنهم فلا يرونها ولا يعرفونها الأ بواسطة اعوانها وآلاتها البوليس الملكي والجاويش العسكري · ولما كانوا لا يحبونهما فهم بالتالي لا يحبونها ايضاً

اما المسئلة التي سعت الهيأة الحاكمة في حلّها فهي كيف تسود الامة بواسطة الامة · ورأت ان انشاء مصلحة مشتركة تربط جميع الطبقات بعضها ببعض واسطة لازمة لبلوغ تلك الغاية · فمنذ قرن كان حلّ مسئلة مثل هذه سهلاً على اية هيأة حاكمة وذلك انها كانت تستطيع بجيش صغير اخماد كل حركة بين رعيتها ولكنها لا تستطيع مثل ذلك الآن · فتوسلت الى ادراك مأربها بسياسة مبنية على امرين الخوف والجشع · فقامت قائمة صحف الحكومة غير مرة في السنين الاخيرة تنادي بان البلاد على شفا جرف هار · وانت تعلم وانا اعلم والحكومة نفسها تعلم ان هذا النداء كاذب اذ ليس في اوربا مملكة هدّدت المانيا منذ سنين كثيرة وليس فيها مملكة تهدّدها الآن · فاننا نحن النمسويين مرتبطون بل مقيدون معها بمحالفة وايطاليا معنا ويلوح لنا ان انكلترا مكتفية بمشاغلها وانهُ لا يجول في صدرها فكرة عدائية · اما فرنسا فآخذة في الانحطاط عسكريّاً وكثيرون من اهلها يريدون تناسي الاخذ بالثار · واما روسيا فلم تبدِ منذ زمان طويل ميلاً الى التوسع في الغرب وهي ليست الآن في مركز يمكنها من التحرش بدولة من الدرجة الاولى ولا يخشى ان تكون في ذلك المركز ولو بعد سنين كثيرة

والحكومة الالمانية تعلم كما نعلم نحن ان سلاح الدول الاخرى الذي تخوّف بهِ شعبها ليس سلاح عداء بل سلاح دفاع من المانيا نفسها · ولو اقترحت المانيا تخفيض السلاح ما رأت دولة في اوربا الأ وتقبل اقتراحها جزلة مسرورة · ولكن جمهور الامة الالمانية ينكر هذه الحقائق لان الهيأة الحاكمة تكذبها · وتكذيبها اياها في مصلحتها · فلذلك ترى روح الحرب في المانيا باقياً حيث هو وترى الامة تلبّي مطالب الجيش بلا تردد ولا امهال

على ان عامل الخوف هذا لا يؤَثر في الطبقة التجارية الوسطى تأثيرهُ في الطبقة الدنيا لان اهل الطبقة التجارية اسمى ادراكاً واكثر ضرباً في مناكب الارض واعرف بالبلاد الاجنبية وابعد عن تصديق كل ما يقال لهم · وهناك اسباب كثيرة تحملهم على القناعة بحالتهم الحاضرة فانهم يسيرون حثيثاً في سبيل التجارة العامة حتى سبقوا التجار الانكليز في كثير من الاسواق وقد جمعوا ثروة طائلة · وقناعتهم هذه جاءَت عقبة في سبيل الحكومة فان فئة النبلاء من كبار المالكين يخافون من قيام ارستوقراطية تجارية خوفهم من قيام ديموقراطية اشتراكية ولاسيما ان الاولى اعسر انخداعاً من الثانية · لذلك بُذلت المساعي في السنين الاخيرة لاستجلاب فئة التجار الى جانب الحكومة فصادق الامبراطور بعض زعمائهم ورقاهم في الهيأة الاجتماعية · وجعلت الصحف الرسمية تنشر المقالات مبينة لهم وجوب وجود جيش قوي واسطول قوي لتأييد التجارة ومساعدتها على ارتقائها · فوافقوا مبدئيًّا على هذه الفكرة ولكنهم خالفوا الحكومة في مدى تطبيقها بدعوى ان كل توسّع فيها يفضي الى زيادة في الضرائب · ولم يقنعهم قول القائل انهُ كلما تقوت المانيا واشتدَّ ساعدها زحمت انكلترا امامها وحلَّت محلها لانهم كانوا يسابقون التجار الانكليز في اسواق انكلترا نفسها وفي مستعمراتها ويسبقونهم من غير وسيلة حربية

فلم ينتشل الحكومة الالمانية من هذه الورطة ولم يحلَّ لها هذه العقدة الاَّ انتم الانكليز. فقد قام نفر في انكلترا اخيراً يتحدثون بحماية التجارة (ضرب رسوم على الواردات الاجنبية) وبالتعريفة التفضيلية (تمييز واردات المستعمرات على غيرها) · ولست افهم تفصيلها تماماً ولا اظن الالمان يفهمونهُ · وانما اعلم انهم يفهمونهُ كما افهمهُ انا وخلاصتهُ ان تفرض تعريفة جمركية تنيل التاجر الانكليزي مزية عظيمة على غيرهِ في جميع البقاع الخاضعة لانكلترا واسواقها وكثير ما هي · وفي ذلك خسارة مالية لالمانيا لا تقدر · وقد تقول لي ان الحماية وامثالها من الكلمات نداءٌ فارغ لن يعمل بهِ ولن يتحقق · نعم ولكن من يضمن للتاجر الالماني عدم حدوث ذلك · فهذا ما حدا بالفئة التجارية في المانيا على الانضمام الى الحكومة وتأييدها في سياستها الحربية والبحرية · ولطالما حسدكم الالمان على ما يرون من اسباب الرفاه والرخاء في انكلترا لان الحسد خلق فيهم حتى ترى العامل منهم يحسد العمال الانكليز اعتقاداً بانهم احسن منهُ حالاً · وقد استخدمت الحكومة هذا الطبع لترويج فكرتها وبلوغ قصدها

وكلّ مطَّلع على حقائق الحال لا يرتاب في عداء الامة الالمانية اجمالاً لانكلترا · ولكن

هذا العداء هو من عَمَل الحكومة في الاكثر · والحكومة تراقب المدارس والجامعات ولكن لا اعلم هل تعلم فيها بوجوب ذلك العداء · وانما اعلم ان بعض قومكم يعلمون هذه الحقائق تمام العلم ولكن بينكم رجالاً لا يصدقون الاَّ ما يقع تحت حسهم وما يطابق حدْسهم · وهؤلاء ايسر انخداعاً من اجهل طبقات الامة · فانهم يظنون ان التعليم يأتي بثمار متشابهة في جميع العالم وان الالماني المتعلم كالانكليزي المتعلم في بساطة قلبهِ وصفاء طويتهِ وفاتهم ان الطبقة التي تحكم المانيا ليست الطبقة المتعلمة بمعنى هذه الكلمة الواسع بل طبقة ربيت ضمن حدود ضيقة معينة لا مجال للعواطف فيها

وليست معاداة انكلترا غاية للهيأة الحاكمة في المانيا بل واسطة لبلوغ غاية · فان هذه الهيأة تستعد لحرب عظيمة قد تكون انكلترا غرضها الاول وقد لا تكونهُ · ولكنها تمثّل انكلترا للشعب الالماني معتدية على مصالح المانيا فيعذر الشعب حكومتهُ على ما تبدي من الاهبة في البرّ والبحر · وغاية الهيأة الحاكمة حرب عظيمة تدخلها المانيا بعد ان تستعد تمام الاستعداد لمحاربة فرنسا وروسيا مجتمعتين او لمحاربة انكلترا وحدها لانكم انتم الانكليز لم تدخلوا المحالفات الاوربية · وهذه الحرب تشهرها المانيا في الظاهر على دولة اجنبية واحدة او اكثر من واحدة ولكنها تكون في الواقع حرباً تشهرها الهيأة الحاكمة في المانيا على القوات والعوامل الداخلية التي تريد قلبها وثل عرشها

وبيان ذلك ان الهيأة الحاكمة تعتقد — واعتقادها صواب في ظني — بان المانيا تخرج من حرب مثل هذه منصورة وانتصارها يجعل العنصر الحربي صاحب الكلمة العليا في اوربا ويجعل الحكم العسكري امراً لا بد منهُ على الدوام في المانيا · ولا بد لالمانيا من مهاجمة دولة من الدول بعد سنوات قليلة · وعندي ان تلك الدولة لا تكون انكلترا · لانها اذا حاربت انكلترا وصل الفريقان المتحاربان الى الحالة التي يبلغها الشاه في الشطرنج حيث لا يجد متقدَّماً ولا متأَخَّراً فيقال انهُ مات · وبعبارة اخرى لا تستطيع دولة منها ان تنال منالاً من الاخرى وتنتصر عليها انتصاراً فاصلاً في حين ان الهيأة الحاكمة في المانيا ترمي الى عمل فاصل · لذلك ارى ان المانيا تهاجم فرنسا وروسيا لانها تستطيع ان تنتصر عليهما انتصاراً يكون بهِ فصل الخطاب فان فرنسا منحطة عسكريًّا وروسيا مختلة · واذا هاجمتها المانيا لزمت انكلترا الحياد

تسألني وما تأثير انتصار المانيا على فرنسا وروسيا في انكلترا فاجيب بان ذلك الانتصار يضمن سيادة الهيأة الحاكمة في المانيا سنين كثيرة وهذا ما ترمي اليهِ حقيقةً · ولكنني اعتقد

بان المانيا تعود فتهاجم انكلترا عاجلاً او آجلاً لان انتصارها يزيد قوة المطامع التي عانت الحكومة ما عانت لبثها وتعزيزها في صدور الطبقة التجارية . واذا قلت لي واية علاقة للنمسا وايطاليا بهذه السياسة . قلت لك اما ايطاليا فلا اعلم الشيء الكثير عن سياستها سوى انها حالفت المانيا وايانا لتحمي نفسها منّا ظنًّا منها ان النمسا ما نسيت اخذ مقاطعتي لمبارديا وفنيسيا منها ولا اغتفرتهُ . وما دامت تجد هذه الحماية في المحالفة فانها تبقى فيها

واما نحن فقد دخلنا المحالفة لاسباب شتّى اعظمها خوفنا من روسيا وهو خوف اثبتت الايام انهُ مبالَغ فيهِ على ما يؤَكد وفي غير محلهِ على ما يظنّ . ولكن مع هذا كلهِ لا يزال هناك خوف من وقوع المشاكل بيننا وبين روسيا في البلقان وخصوصاً بعد استيلائنا على البوسنه والهرسك . ومشهور انهُ منذ عقدت المحالفة الثلاثية اشتدّ حرج الحالة الداخلية في النمسا . اما مشاكل المانيا الداخلية فاجتماعية وعندنا نحن مشاكل من نوعها ولكن مشكلتنا الكبرى وطنية . فان مسئلة المجر ومسئلة السلاف من قومنا تعقّدتا في السنين الاخيرة . وبوصف كوني نمسويًّا تراني اضطرب عند الاشارة الى المجر فان دأبهم التظلم من النمسا والحال اننا منحناهم الشيء الكثير حتى عظم شأنهم في الامبراطورية عظمة لا تلائم عددهم . وبينا تسمعهم يتظلمون من معاملة النمسا لهم تراهم هم انفسهم يعاملون السلاف والرومان من رعيتهم معاملة موسومة بافظع الظلم . وهم يدَّعون انهم يمقتوننا ويشنأُون الجرمان و ينبذون اللغة الجرمانية ولكنهم اهل جهل مطبق فانهم ينشدون استقلالاً لم يستطيعوا المحافظة عليهِ الأَ بمساعدة روسيا ومعاونة السلاف من رعاياهم ومع ذلك لم يغتفروا لروسيا تصدّيها لهم سنة ١٨٤٩ وهم يعاملون السلاف في بلادهم بالامتهان والظلم . ولو اتحدوا معًا لأَحرجوا موقف العنصر الجرماني في النمسا . والجرمان عندنا يعلمون ذلك و يعتمدون علينا حتى في عمل ما لا يعود علينا بنفع كثير

بقي لي شيءٌ واحد قولهُ وهو انهُ اذا خرجت المانيا من حرب اوربية عظيمة والنصر حليفها فلا نسمح بان تقوم في بلدان اوربا قوة للشعب تحيي الآمال السياسية في صدور الطبقات الدنيا . وهذا الامر في طاقتها لان انتصارها يجعلها الآمرة الناهية في اوربا تمحو ما تشاء وتثبت ما تشاء » انتهى

ترجمنا هذا الحديث لاننا رأَينا فيهِ تعليلاً لاستعداد المانيا الكبير لهذه الحرب . ومما يزيد قيمة هذا التعليل ان صاحبهُ جاهر بهِ قبل الحرب بنحو عشر سنوات وهو دليل على المعيتهِ وعلى ان الحكومة الالمانية تجري في اعمالها على اساليب محكمة ولو كانت غايتها مخالفة مقتضى العمران

السحر في الشعوذة

اذا رأَينا رجلاً بلحيتهِ وشاربيهِ وقف على دكة وأُلقي عليهِ ستار غطاهُ و بعد لحظة رُفع الستار عنهُ فاذا هو امرأَة ثم طُرح الستار على المرأَة و بعد لحظة رفع عنها فعادت رجلاً . ودخل هذا الرجل صندوقاً واقفل واستلم احد الحضور مفتاحهُ ثم فتح ثانية فاذا فيهِ امرأَة لا رجل واغلق عليها واقفل ثانية ثم فُتح فاذا هي قد عادت رجلاً — قلنا ان في الامر حيلة ولم يستحل الرجل امرأَة ولا الامرأَة رجلاً . وهذا يكون حكم اكثر العقلاء فانهم يكذبون عيونهم و يقولون ان الرجل أُبدل بامرأَة ثم أُبدلت المرأَة برجل بحيلة ما ولم يستحل الرجل امرأَة ولا استحالت الامرأَة رجلاً لان ذلك مخالف لاختبار الناس في كل العصور . وكل ما يحدث مناقضاً لاختبار الناس انما يحدث بحيلة من الحيل ومحدثهُ محتال او مشعوذ

واعمال المشعوذين كثيرة وهي في حد الغرابة عند الذين لا يعرفون اساليبها . والغالب ان تخفى هذه الاساليب على المشاهدين فيندهشوا من اعمال المشعوذين ويقول بعضهم انها حدثت بحيلة ما و يقول غيرهم انها حدثت بالسحر او بقوة تفوق القوى الطبيعية المعروفة ويكون حكمهم عليها حسب درجتهم من العلم . فالذين استنارت عقولهم لا يرتابون في انها من طرق الشعوذة والبسطاء يحسبونها عملت بواسطة الجن والعفاريت والابالسة او بقوى تفوق الطبيعة . والمشعوذ الذي يكره الخداع يخبر مشاهدي اعمالهِ انهُ يعمل ما يعملهُ بخفة اليد وانهُ ليس ساحراً ولا مالكاً قوة غير طبيعية . ومتى كسب ما يكفيهِ من صناعتهِ فالغالب انهُ يفشي الاساليب التي جرى عليها كما فعل المشعوذ الذي ذكرنا قصتهُ في مقتطف فبراير تحت عنوان هذه المقالة

ولكن قد يحدث ان يجلس اثنان في مشهد واحد على مقعد واحد و يرى احدهما المشعوذ واقفاً على الدكة امامهُ و يراهُ الآخر واقفاً في الهواء فوق الدكة . ورؤْية هذا الثاني لا تدلُّ على ان المشعوذ ارتفع في الهواء بحيلة بل على ان مَن رآهُ كذلك توهَّم توهُّماً انهُ ارتفع في الهواء وذلك من قبيل الاستهواء او النوم المغنطيسي . اي ان المشعوذ استهواهُ بكلامهِ او بحركاتهِ فغفل ونامت بعض حواسهِ المميزة فاعتقد ان المشعوذ ارتفع في الهواء كما يعتقد النائم مثلاً انهُ انتقل الى باريس او لندن او دمشق او بغداد او مكة وقابل هناك رجالاً ماتوا منذ مئات من السنين . فشعورهُ وهو نائم في القاهرة انهُ انتقل الى تلك المدن ورأَى فيها اولئك الرجال لا يؤْخذ دليلاً على انهُ انتقل حقيقة ولا على ان الاموات قاموا من قبورهم

وقد وقفنا الآن على كلام لاحد المشعوذين وصف بهِ بعض ما رآهُ من اعمال رصفائهِ في الهند ومصر وبلدان اخرى ثم شرح طرقها فاقتطفنا منهُ ما يلي قال :

رأيت في بنارس مشعوذاً هنديا مدَّ لسانهُ وطلب من الحضور ان يفحصوهُ وبعد ذلك ادخل فيهِ مسماراً طويلاً حتى اشمأزَّ الحضور مما رأوا واقشعرَّت ابدانهم . وطريقة ذلك انهُ كان معهُ لسان من الكاوتشوك الاحمر مثل لسانهِ وكان هذا اللسان مخروقاً من وسطهِ فبعد ان ارى الحضور لسانهُ الحقيقي التفت قليلاً وفي تلك اللحظة ادخل لسان الكاوتشوك في فيهِ ثم ادخل المسمار فيهِ . وهذا التفسير على بساطتهِ لم يفطن لهُ الحضور ولذلك عرتهم الدهشة واقشعرَّت ابدانهم

واخذ هذا المشعوذ نواة من نوى ثمر المنجو واراها للحضور ثم طمرها في التراب وصبَّ عليها ماء فافرخت وجعل يزيد صب الماء وهي تزيد نموًّا . وحيلتهُ ان النواة التي طمرها في الارض هي غير النواة التي اراها للحضور وكان قد شقها ووضع فيها غصناً صغيراً من المنجو بعد ان لفَّ اوراقهُ بعضها على بعض واطبق فلقتيها والصقها بقليل من الطين فلما طمرها وصبَّ عليها الماء ارتخى الطين فانفتحت الفلقتان وخرج غصن المنجو من بينهما وجعل المشعوذ يزيد عليهِ شيئاً من جيبهِ كلما انحنى فوقهُ ليسقيهُ

ورأيتُ مشعوذاً سنغاليًّا فتح جرابهُ وجعل يخرج الحصى منهُ ويلتهمها الواحدة بعد الاخرى حتى امتلأ جوفهُ منها وجعل يتمايل والحصى تئضُّ في جوفهِ . وهو انما وضع حصاة واحدة في فيهِ ولما وضع الحصاة الثانية فيهِ اخرج الاولى ومدَّ يدهُ الى جرابهِ واخرجها بالحصاة نفسها او بواحدة مثلها واستمرَّ على مثل ذلك الى ان رسخ في اذهان المشاهدين انهُ بلع ثلاثين حصاة ملأ جوفهُ بها فاقعنسس وجعل يمشي متبختراً واصوات الحصى تتلاطم في جوفهِ وهي انما تتلاطم في جرابهِ

ورأيت مشعوذاً استراليًّا من السكان الاصليين وهو يدعي انهُ طبيب ساحر فاخذني الى غدير على ضفتهِ نحو ١٥٠ جذعاً من جذوع شجر اليوكالبتوس واشار الى جذع منها وطلب مني ان امعن نظري فيهِ ثم ناداهُ وامرهُ بالانتقال فجعل ينتقل رويداً رويداً الى ان وصل الى الغدير وارتمى فيهِ ثم عاد ادراجهُ الى حيث كان

ولا شبهة ان ذلك الجذع كان مجوفاً ومربوطاً بخيطين طويلين من الياف بعض الزراجين التي تنمو هناك ويمسك بطرفي الخيطين رجلان مختبئان في الهشيم فجراهُ بهما الى الغدير ثم اعاداهُ الى مكانهِ وهذا اهم اعمال ذلك الطبيب الساحر التي يدجل بها على عقول اتباعهِ

ووصف الكاتب اعمالاً اخرى من هذا القبيل رآها في الهند واليابان ومصر فلا داعي لذكرها وانما ذكر عملاً واحداً يظهر انهُ اغرب منها كلها وهو ما يسمَّى بركوب الحبل قال وقف المشعوذ في ساحة كبيرة ببلاد الهند وكان موقفهُ يبعد عن اقرب بيت اليهِ مئة يرد على الاقل ورمى حبلاً في الهواء فارتفع كانهُ قضيب وصعد ولد على هذا الحبل الى ان وصل الى طرفهِ الاعلى واختفى عن العيان ثم ظهر الى جانب المشعوذ · هذا ما قال الحضور انهم شاهدوهُ بعيونهم ولم يكن رمي الحبل اول الاعمال التي عملها المشعوذ بل عمل اعمالاً اخرى كثيرة قبلهُ ادهشتهم ثم اخرج الحبل من سلة وطلب منهم ان يفحصوهُ وقال لهم اني عازم ان افعل بهِ كذا وكذا ثم رماهُ وقال « انظروا اني رميت الحبل في الهواء وها هو قائم فيهِ وسيصعد الولد عليهِ انظروهُ صاعداً وها هو قد وصل الى اعلاهُ · وجعل يزعق وهو يأبى النزول لا ادري ما حلَّ بهِ لعنة الله عليهِ اختفى عن النظر » ثم وقع الحبل على الارض وبعد قليل رفع ملاءة عن الارض واذا الولد تحتها

اما انا فرأيت المشعوذ يرمي الحبل فارتمى ثم وقع على الارض ولم ارَهُ انتصب في الهواء ولا رأيت ولداً صعد عليهِ فكيف رآهُ الحضور منتصباً ورأوا الولد صاعداً عليهِ · اني افسّر ذلك بالاستهواء اي ان المشعوذ استهواهم بافعالهِ السابقة وكلامهِ فذهلوا او ناموا لحظة من الزمان وصدقوا كلامهُ كما يفعل من ينام النوم المغنطيسي · انتهى

نقول وقد شاهدنا الذين ينامون النوم المغنطيسي تعطي الواحد منهم حجراً وتقول لهُ خذ هذه التفاحة وكُلْها فيأخذها بيدهِ ويحاول اكلها · وتعطيهِ تفاحة حقيقية وتطلب منهُ ان يأكلها وحينما يضعها في فيهِ تقول لهُ هذه جمرة فيطرحها من يدهِ حالاً ويتململ كمن احترقت يدهُ وتمشي معهُ في غرفة وتقول لهُ وصلنا الى ترعة فيحاول عبورها حافياً او الوثوب من فوقها الى غير ذلك من الاعمال التي يعملها بانياً اياها على ما يسمعهُ منك لان قوة التمييز فيهِ تكون نائمة او غافلة

وارانا الدكتور شميل والمرحوم الدكتور نحاس امرأة كسيحة نوَّمها الدكتور نحاس النوم المغنطيسي وطلب منها ان تمشي فحاولت النهوض بكل جهدها ولما لم تستطع جعلت تثب على قدميها · وكرر تنويمها وامرها بالمشي حتى كادت تشفى من الكساح

وواضح من ذلك ان الاستهواء يجعل المرء يشعر حسبما يأمرهُ من يستهويهِ فاذا اضفنا الى ذلك ان كثيرين من الناس يُستَهْوَوْن او يذهلون لاقل سبب سهل علينا تفسير ما يقولهُ البعض من انهم شاهدوا اعمالاً خارقة لا تفسَّر بحيلة عملية ولا بوسيلة طبيعيَّة

ملك الانكليز وامبراطور الالمان

كتبت كونتس ورِك[١] مقالة في هذا الموضوع في مجلة ناش الانكليزية ضمنتها حقائق جمّة عن الملك ادورد السابع المتوفَّى وعن الامبراطور ولهلم الحالي وعلاقة كلٍ منهما بسياسة اوربا فرأينا ان نقتطف منها ما يأتي :

منذ ابتدأت هذه الحرب قرأت خلاصات كثيرة من الجرائد الالمانية ومن مقالات في الجرائد الاميركية باقلام الالمان مفادها ان الملك ادورد بذل كل جهدهِ في ما يأول الى القضاء على الامبراطورية الالمانية · وكنت احسب في اول الامر ان ما قرأتهُ من هذا القبيل نفثة مصدور او مجازفات اناس يجهلون الحقيقة · ولكن لما رأيت ان ذلك تكرَّر مرةً بعد اخرى خفت ان يرسخ في الاذهان كأنهُ حقيقة راهنة فجئت افنّدهُ بهذه السطور لاسيما وانني تمتعتُ بثقة الملك ادورد قبل ارتقائهِ الى سدة الملك وبعدهُ وسمعت من فيهِ مراراً كثيرة ما يدلُّ على حقيقة رأيهِ في المانيا والالمان فصار من اوجب الواجبات عليَّ ان اشهد بالحق الذي اعرفهُ دفعاً لهذهِ الاوهام الشديدة الضرر · ولو خطر ببالي انهُ يمكن ان تشاع الاشاعات التي احاول نقضها الآن لكتبت الاقوال التي سمعتها من الملك ادورد في اوقات مختلفة وانا احدثهُ في بعض الشؤُون السياسية الهامَّة ولكن ذاكرتي والحمد لله قوية جدًّا واني لأجد فيها ما يمزق تلك الاوهام والاضاليل · وانا على ثقة تامَّة ان ما اقولهُ هو الحق الصراح الذي لا ريب فيهِ

ان من اقدم ما اتذكرهُ اني أُخذت مراراً وانا صغيرة الى السفارة الالمانية لزيارة الامبراطورة اوغسطا (جدة الامبراطور الحالي) وأَخذي اليها مراراً يدلُّ على ان الامبراطورة اوغسطا زارت انكلترا غير مرة لشدَّة صداقتها للملكة فكتوريا · وكان كل احد يحترم الامبراطور ولهلم الاول ويعجب بولي عهدهِ البرنس فردريك · ولمَّا اقترن هذا البرنس بابنة الملكة فكتوريا الكبرى وكان اخوها الملك ادورد[٢] يعزها اكثر من سائر اخواتهِ اشتدت ربط الصداقة والحب بين البلاط الانكليزي والبلاط الالماني

وكانت الملكة فكتوريا تحب المانيا والالمان وتعبد حفيدها (الامبراطور ولهلم الحالي) وتعتقد انهُ معصوم عن الخطإ ولكن الملكة الكسندرا زوجة الملك ادورد دنماركية

(١) Countess of Warwick

(٢) سألقبهُ بالملك ادورد دائماً ولو قبلما صار ملكاً

فكانت تكره المانيا لانها لم تنسَ ما فعلتهُ بالدنمارك اذ سلبت منها ولاية شلسويك هولشتين وكذلك كانت اختها امبراطورة روسيا ولكنني لم اسمع قط انهما اشتركتا في دسيسة ما ضد المانيا

وكبر البرنس ولهلم وبلغ سن الرشد ولا احد يحسب لهُ حساباً من حيث السياسة لان اباهُ كان يملأُ العين مهابةً والنفوس اعجاباً واما هو فغاية ما في الامر انهُ كان حفيد الملكة فكتوريا المحبوب منها ولم يخطر على بال احد انهُ يجلس على عرش الملك قبلما يصير كهلاً لان مرض ابيهِ لم يكن في الحسبان

ولكن ان لم يكن في البلاط الانكليزي شيء من العداوة لالمانيا فلم يكن البلاط الالماني خالياً من العداوة لانكلترا لان وجود امرأَة انكليزية في البلاط الالماني ينتظر ان تصير امبراطورة المانيا لم يكن مما يرضى بهِ الالمان لاسيما وانهم كانوا يعتقدون ان تزويجها لولي عهد المانيا كان الغرض منهُ ان تصير المانيا تابعة لانكلترا . وزاد قلق الالمان لما توفي الامبراطور ولهلم الاول . ثم لما توفي ابنهُ الامبراطور فردريك بعد بضعة اشهر كان كره الالمان للانكليز قد بلغ اشدَّهُ وسرى سمهُ الى ذهن الامبراطور الشاب حتى اقصاهُ عن امهِ فلم يبرَّ بها بل اساءَ اليها فشكت امرها الى اخيها وكان لا يزال ولي العهد وكانت اعز اخواتهِ عليهِ كما تقدم فاغتاظ من ذلك وجاهر بما في نفسهِ من الغيظ . ولم تكن العلاقات على ما يرام بينهُ وبين ابن اختهِ للسبب التالي

لما شبَّ الملك ادورد وتزوج ودَّ ان يلتفت الى امور الملك ويشارك امهُ فيها فجعل يتعلم ويعاشر رجال السياسة قاصداً ان يشتغل معهم لكن امهُ ابت عليهِ ذلك ولم ترضَ ان يدخل مجالس مشيريها وامرت وزراءَها ان لا يطلعوهُ على شيء من اوراق المملكة عازمةً ان تبقى السلطة في يدها وحدها . ولا بدَّ من انها خسرت بذلك خسارة كبيرة لان الملك ادورد كان شديد الفراسة كانهُ من الشعب السامي(١) . كان المعياً قوي البداهة حاضر الذهن انيس المحضر على غاية الظرف والادب وكان الواجب ان تستفيد البلاد من هذه المناقب . ولكن الملكة فكتوريا لم ترَ ذلك فاضطر ان يشغل نفسهُ بما يرفع مقام الانكليز بين اهل الاذواق فزاد ابتهاج الناس بهِ والتفافهم عليهِ حتى خُيّل للناظر انهُ سيكون لهُ شأن عظيم في السياسة حينما تلقى اليهِ مقاليدها

اما الامبراطور ولهلم فكان عريّاً من كل هذه الصفات التي امتاز بها خالهُ . كان كثير الاشتغال شديد الحرص كثير التبرُّم قليل التسامح شديد التقلُّب كأَنهُ وخالهُ على طرفي

(١) اي العرب والسوريين والاسرائيليين

نقيض . وكثر حديث الناس بهذه الامور فاغتاظ منها وحقد على خالهِ لانهُ رآهُ حائزاً على اعجاب الناس واحترامهم عفواً من غير تعمُّل

وهناك سبب آخر وهو ان الامبراطور ولهلم كان في معيشتهِ وسيرتهِ ضيقًا متعصباً واما خالهُ فكان واسعاً سموحاً يسابق و يصطاد و يلعب و يزور و يزار و يختار الاصدقاء من كل الطبقات . وقد هفا هفوات كثيرة رغماً عمَّا امتاز بهِ من الفراسة والذكاء فتسلَّح ابن اختهِ بها للانتقاد عليهِ باقوال قالها علانيةً وكان السعاة يأتون خالهُ بهذه الاقوال مصقولةً مكبَّرةً

قلت ان الملك ادورد كان على جانب عظيم من كرم الاخلاق ولكنهُ هفا هفوات كثيرة من ذلك مصادقتهُ للبارون هرش فان هذا البارون كان رجلاً ظريفاً وزوجتهُ من فضليات النساء وهي من اعز اصدقائي ولكنهُ كان يستسهل كل صعب في سبيل الكسب فجمع ثروةً طائلة بطرق محلَّلة وغير محلَّلة ممَّا يطول شرحهُ ومع ذلك كانت لهُ مبرات تستحق المدح. وكان الملك ادورد ينظر اليهِ من هذا الوجه ولعلهُ خدم الملك ادورد في بعض الشؤُون وهو لا ينسى احداً خدمهُ في امر مهما كان ولا كان ينسى صديقاً . اما المانيا فازدرت البارون هرش والنمسا اغتاظت منهُ لانها تقيس الانسان بنسبهِ لا بحسبهِ واذا جمع مال قارون باشرف الطرق واحلّها بقي في عينيها احط من ذي النسب العالي ولو كان من الحمقى المفاليس . لكن الملك ادورد هزأ بغيظ فينا وازدراء برلين وقال لاحد معارفهِ اني لا انيط اختيار اصدقائي بهاتين العاصمتين . واثبت ذلك بانهُ قَبِل دعوة البارون هرش ليذهب و يصطاد في املاكهِ الواسعة في ايشرن (بالنمسا) فذهب ولكنهُ لم يجد هناك من المدعوين غير الانكليز كأن الالمان والنمسو يين لم يلبُّوا الدعوة ان كانوا قد دُعوا . ثم زار البارون هرش في باريس . ولعلهُ لم يكن من الصواب مقاومة العادات المألوفة ولكن الانكليز لم يكونوا في وقت من الاوقات مقيدين بالعادات كاهالي ڤينَّا و برلين . والغالب اننا نقبل دعوة كل مَن يدعونا اذا كان ذا ثروة كافية للانفاق علينا

اما الامبراطور ولهلم فاغتاظ من خالهِ لانهُ خالط غنيًّا عصاميًّا واغتاظ منهُ ايضاً لانهُ مضى الى همبرج واقام طويلاً مع اختهِ الامبراطورة في قصرها هناك وكانت هي قد جعلتهُ مشكيَ ضيمها منذ صغرها لان امها كانت تتعصَّب عليها وتتحزب لحفيدها وتقرّع ولي عهدها بهِ كأنها تقول لهُ انظر الى فضائل ابن اختك فهي المناقب التي يجب ان يتحلَّى بها الرجال . و يقضي عليَّ الانصاف ان اقول ان الامبراطور ولهلم كان يحب جدتهُ جدًّا وقد حزن عليها حزنًا شديداً و يا حبذا لو احبَّ والدتهُ كذلك

وكان ذهاب الملك ادورد الى همبرج قذًى في عيني ابن اختهِ كما تقدم ثم لما ذهب الى مرينباد في النمسا بدلاً من الذهاب الى همبرج في المانيا زاد القلق في برلين لان ساسة الالمان كانوا يعرفون مقدرتهُ على اجتذاب القلوب فخافوا ان يفصم عرى المحالفة الثلاثية . وكان يحبُّ النمسويين ويعجب بذكائهم واخلاقهم واذواقهم ومهارتهم في الصيد والقنص ونحو ذلك من الصفات التي كانت تروق لهُ وكان يحسب كثيرين من النمسويين بين اخص اصدقائهِ ومنهم الامبراطورة والكونت منسدرف وبيت بشياني وبيت لاريش وغيرهم . ولا ازال اتذكَّر قولهُ لي ان ليس في الدنيا الطف من النمسويين . ولكن قلق الامبراطور ولهلم لم يكن في محلهِ لان خالهُ لم يكلم احداً حينئذٍ في المسائل السياسية

يظهر مما تقدم ان الخلاف بين الامبراطور وخالهِ لم يكن الا من قبيل الاختلافات العائلية . وقد سمعت الملك يتكلم بغيظ عن ابن اختهِ لانهُ لم يحسن معاملة امهِ لا لسبب آخر . وقال غير مرة ان ابن اختهِ كان مصاباً بداء حب المبالغة ولم يتعلَّم ان يلجم لسانهُ . ولكنني لا اتذكر مطلقاً اني سمعت منهُ شيئاً يدلُّ على انهُ كان يقصد الشر لالمانيا او يريد بها ضرَّاً وغاية ما في الامر انهُ كان يقول ان الالمان ثقلاء

وكان سفراء روسيا وفرنسا من الذين يترددون على قصرهِ واما سفراء المانيا فلا ولا يستثنى من ذلك الا البرنس هتزفيلد . ومن المحتمل ان كراهة الملكة الكسندرا لتصرُّف الالمان مع شعبها جعلت سفراءهم يقللون التردُّد على قصرها وزيارات الامبراطور الاولى لانكلترا لم تبقِ في ذهني اثراً مخصوصاً . نعم اني اتذكر انني رقصت تجاههُ في قصر بكنهام في رقصة الكواديل وتعشيت معهُ في وليمة اولمت لهُ وكان يظهر الصداقة بنوع خاص لنساء جماعة اليخوت الملكية

وقد كان الملك ادورد منصفاً في كل ما ينتقد بهِ غيرهُ حتى انهُ لما كان يتكلم على ما بين اختهِ وابنها من الخلاف كان يلقي اللوم على ما بينهما من اختلاف الطباع والمشارب . وكان يعجب بالامبراطورة زوجة ابن اختهِ كما يعجب بها كل مَن عرفها وعرف اعمالها الفاضلة وحب شعبها لها واحترامهم اياها

ولما توفيت الملكة فكتوريا تحسنت العلاقات كثيراً بين الامبراطور وخالهِ فانهُ جاء الى انكلترا لحضور الجنازة وتصرَّف احسن تصرُّف ولحظ ذلك كل اهل البلاط . وتكلم معي الملك ادورد في هذا الشأن مظهراً سرورهُ . والظاهر ان ما ابدتهُ فرنسا من الغيظ منا وقت حرب البوير قرَّب الالمان الينا . واتذكر انني كنت خارجة من تياترو في باريس ذات

ليلة مع لورد روزبري فحيّانا الناس بقولهم ليحيَ البوير ويسقط تشمبرلين . وصوّرت الملكة فكتوريا صورة هزلية قبيحة فهنا دوق دورليان الرجل الذي صورها كذلك . وكان الملك ادورد يخالف امهُ في امور كثيرة وكثيراً ما حدثني في مواضيع الخلاف بينهُ وبينها ولكن احترامهُ لها لم ينقص ذرةً فلم يصفح عن دوق دورليان بعد ذلك وقد حاول الدوق ان يعتذر اليهِ ويصطلح معهُ فاغضى عنهُ

ثم ان التلغراف الذي ارسلهُ الامبراطور ولهلم الى كروجر قبلما شبت حرب البوير كان لهُ اثر سيء جدًّا ولكن الامبراطور عاد بعد ذلك فلزم الصمت فازال الغيظ من نفس خالهِ . ثم تحسنت العلاقات بينهُ وبين خالهِ بعد موت الملكة فقلَّ الانتقاد او صار يلزم جانب الحكمة في انتقادهِ وعاد الى الصفاء التام بعد ما حاول احد الفوضويين اغتيال الملك فانهُ اسرع الى حدود بلادهِ ولاقاهُ وهنأهُ بالسلامة . وكتب اليَّ الملك بعد رجوعهِ يشكرني لاني ارسلت اليهِ تلغرافاً اهنئهُ بهِ واخبرني في كتابهِ ان الامبراطور جاء من برلين الى التونا لكي يسأل عن صحتهِ ثم قال انهُ يحسب ذلك لطفاً منهُ

واتذكر ان زيارات الامبراطور لانكلترا صارت بعد ذلك تقابل بالرضاء التام وقد قال لي الملك لما كان الامبراطور نازلاً في هايكلير التماساً للصحة انهُ صار غاية في الظرف وحسن المسايرة وزال منهُ ما كان يرى فيهِ قبلاً من القلق وسرعة الانفعال . وكانت العلاقات على اتم المودَّة بين الملك جورج وزوجتهِ الملكة وبين الامبراطور ولهلم ولما ذهب الملك جورج وامهُ الملكة الكسندرا الى برلين زائرين سرَّا جدًّا بزيارتهما كما اخبراني

ورب قائل يقول اذا كان الامر كذلك فكيف نعلّل الاتفاق بين انكلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ واجتماع الملك ادورد وقيصر روسيا في ريفال حيث وُضع اساس الاتفاق الحبي بين انكلترا وروسيا . فان الالمان يعتقدون ان الغرض من ذلك كان الاتفاق على المانيا وهذا يثبت عداء الملك ادورد لها . اما الملك ادورد فانهُ جرى في الامرين على رغبة وزرائهِ كما يجب على كل ملك دستوري . وقد سألتهُ بعد اجتماع ريفال عن رأيهِ في الحالة السياسيَّة واتذكر انهُ قال لي ما نصهُ « ان المانيا تناظرنا في التجارة والالمان من اقدر الناس في ادارة الاعمال واذا زاد غناهم وقام فيهم ساسة مغرمون بالاقدام على كبائر الامور فقد تتحوَّل هذه المناظرة الى مزاحمة ومخاصمة ولكنني ارجو ان الاتفاق الفرنسوي والاجتماع في ريفال يمنعان حصول ذلك . ولم يحدث حتى الآن شيء يمنع الاتفاق بين لندن وبرلين وعندي ان كل العقلاء يودون السلم ونحن لا نرى سبباً يدعونا لمخاصمة المانيا او غيرها من الدول »

وقد استاء الملك ادورد مماً حدث لمسيو دلكاسه بعد مؤتمر الجزيرة لانهُ كان يحب الاتفاق مع فرنسا من اقوى دعائم السلم وكان يعجب بالمانيا كما كان يحب فرنسا نعم كان يعجب بتدقيق الالمان في اعمالهم وبعدهم عن السخائف في افكارهم وافعالهم

وزارني مرة قبل وفاتهِ بثلاثة اشهر أتى لتناول الشاي عندي وتكلم عن الادارة الالمانية فقال « لو كانت بلادنا تدار كما تدار المانيا لاستفدنا فائدة كبيرة . ويا حبذا لو حكمنا الالمان المدة الكافية لاصلاح ادارتنا » قال ذلك وصمت قليلاً ثم قال وهو يضحك « ولكن المصيبة انهم اذا اتوا ليحكمونا تعذَّر علينا الخلاص منهم » وهذا آخر حديث جرى لي معهُ لاني لم ارهُ بعد ذلك . وكلامهُ هذا يدل على انهُ لم يكن يضمر العداء لالمانيا بوجه من الوجوه

ان العمر الطويل الذي عاشهُ الملك ادورد والاختبار الواسع الذي لم يفقهُ فيهِ احد من معاصريهِ جعلاهُ فيلسوفاً في المراقبة والملاحظة ولم يكن يدع اميالهُ الشخصيَّة تحول بينهُ وبين ما يُطلَب منهُ كملك . ولكن ان كانت آراءهُ الشخصيةُ قد اثَّرت في سياستهِ فلا يكون ذلك ضد المانيا كما يظهر من كل ما سمعتهُ منهُ عنها . وانتقادهُ عليها الذي اتذكر اني سمعتهُ منهُ قد ذكرتهُ كلهُ هنا فانهُ كان يحبُّ اصدقاءهُ الفرنسويين والنمسويين ويحترم معارفهُ الالمان . وكان ابنهُ المتوفَّى دوق كلرنس مثلهُ من هذا القبيل . ثم انهُ كان يكره الحرب وكل اسبابها ويحسب ان الرجال الذين يرغبون فيها مختلو الشعور يجب ان يوضعوا في بيمارستان المجانين . وكان يعجب باساليب العمران ويرى في الحرب قوة عمياء تقوِّض دعائمهُ وتترك العالم خراباً . وكانت همتهُ موجهة الى اصلاح شأن العامة واستثقل زخارف الملك لا حرمتهُ من المجاهرة بآرائهِ مع ان اصغر واحد من رعاياهُ لا يحرَم منها . وجعل شغلهُ الشاغل ان يعرف كيف حلَّت المانيا مشكلة العمال الذين لا عمل لهم من حيث انشاء المنازل لسكناهم وادارة المعامل التي يعملون فيها . وكثيراً ما تكلَّم عن نجاح المانيا من هذا الوجه وكان يتكلَّم عنها معجباً بها لا ناقماً عليها ولا راغباً في اذلالها . واني واثقة تمام الثقة انهُ لو بقي الى سنة ١٩١٤ ما نشبت هذه الحرب لان نفوذهُ الشخصي كان كافياً لترجيح السلم على الحرب وللتوفيق بين المصالح المتضادة ولو في الساعة الاخيرة لانهُ كان مكرَّماً محترماً لدى كل ملوك اوربا وحكامها وما منهم مَن لا ينقاد لرأيهِ . وما الذين يزعمون زوراً وبهتاناً انهُ هيأ السبل لقتل افضل الرجال واشجعهم الآ نمَّامون ينم زعمهم على جهلهم المطبق

العلم في العام الماضي

كان العام الماضي عام حرب لا عام علم لان ممالك اوربا الكبرى التي يشتغل علماؤُها بالعلم وهي انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا والنمسا كانت كلها مشتبكة بالحرب وعلماؤُها مع الجيوش في ميادين القتال او في معامل الذخيرة يرشدون العمال في عمل آلات الهلاك فلم يتفرغ للمباحث العلمية الأَّ بعض علماء الولايات المتحدة الاميركية

وقد وقع في العام الماضي كسوفان حلقيان الاول في ١٣ و ١٤ فبراير شوهد في الاوقيانوس الباسيفيكي والاوقيانوس الهندي واستراليا والثاني في ١٠ اغسطس شوهد في الاوقيانوس الباسيفيكي ايضاً ولم يعنَ احد بالذهاب لرصدهما على ما يظهر. واكتُشفت خمسة من ذوات الاذناب واحد منها اكتشف في راس الرجاء الصالح في اوائل دسمبر الماضي وهو آخرها واثنان اكتشفا في مرصد وسكنسن بالولايات المتحدة وواحد في بلاد الارجنتين وواحد في همبرج وهو مذنب ونكي المعروف من قبلُ . وقويت الادلة على وجود سيار ابعد من نبتون ويحتمل ان يرى هذا الشتاء في برج الرامي او برج العقرب

واكتشفت اكتشافات في مرصد مونت ولسن باميركا يستدلُّ منها على ان بُعْد النجوم يمكن ان يُعلَم من مقدار اشراقها ومن ظهور بعض الخطوط في طيفها فاذا ثبت ذلك كان من اهم مكتشفات العصر

وكان مرصد كندا قد اوصى في بلجكا بعمل مرآة مقعرة قطرها ٧٢ بوصة للنظارة الكبيرة العاكسة التي يراد عملها ونصبها في كندا فسبك زجاجها وأُرسل من مدينة انفرس قبل شبوب الحرب باسبوع . ولم تُبطل الحرب عمل هذه النظارة فتكاد تتم الآن وستكون الثانية في الدنيا . والاولى نظارة مرصد مونت ولسن في الولايات المتحدة التي قطر مرآتها ١٠٠ بوصة لكن نظارة مونت ولسن هذه لم يتم نصبها حتى الآن لان المعمل الذي يصنع بعض ادوات الفولاذ الكبيرة اللازمة لنصبها شغل عنها بما طلبتهُ منهُ وزارة البحرية . فوصل تأثير الحرب الى علم الفلك في اميركا . وينتظر ان تصوَّر بهذه النظارة صور فوتوغرافية للسماء يظهر فيها مئة مليون نجم من النجوم التي لا ترى الآن بالنظارات المعروفة لبعدها الشاسع

واهم ما حدث ممَّا يتعلق بالعلوم الطبيعية نقل الاشارات بالتلغراف اللاسلكي ٩٠٠٠

ميل ونقل الكلام بالتلفون اللاسلكي ٤٩٠٠ ميل · واستخدام الميكروفون لاكتشاف مواقع الطيارات اذا كانت لا ترى بالعين وكذلك لمعرفة اماكن الغواصات في قلب البحر · واستخدام المغنطيس لاستخراج شظايا القنابل من الجروح · والمصابيح الكهربائية لتعجيل شفاء الجرحى وكهربة الاسلاك التي تستعمل سياجاً حول المعسكرات حتى صار يتعذر مسكها · واتقنت العين الصناعية اي الآلة التي توضع فيها بطرية من معدن السلينيوم فيضعها الاعمى على الحروف المطبوعة ويوصلها باذنيهِ فيستطيع القراءة بواسطتها · وترى تفصيل هذه العين في مقتطف أكتوبر الماضي · واكتشف بعضهم طريقة لتقوية قضيب الصاعقة على جذب الكهربائية ووقاية المباني وذلك بان يضاف الى رأس حربتهِ قليل من بروميد الراديوم فتصير من اشد الموصلات للكهربائية · وكثر التلقيح الواقي من التيفويد · واكتشف بعض علماء الالمان طريقة لعمل العلف من السكر ومركبات الامونيا فتصير منها مادة آلية مغذية تستعمل علفاً للمواشي

واستخرج الاستاذ جون ابل مادة من العلق (الدود) تضاف الى الدم فيبقى سائلاً ولا يتخثر فاذا فُصد المريض وجمع دمهُ واضيفت هذه المادة اليهِ حتى لا يجمد ثم نزع مصلهُ وابدل بمذوب ملحي واعيد الى الوريد الذي خرج منهُ قلت المواد السامَّة في الدم او زالت فتنتج كل فوائد الفصد من غير ان يقل الدم

وكثر الاهتمام بتحليل الغازات السامَّة وتوليدها وتركيب المواد الشديدة الانفجار لحشو القنابل بها اي استخدم العلم للفتك بالناس ولكنهُ استُعمل ايضاً في علاج المرضى وشفاء الجرحى فقلَّت الامراض بين الجنود وقلَّت وفياتهم بها وزاد التئام الجروح وشفاء الجرحى

وحدثت زلزلة عنيفة في ايطاليا في ١٣ يناير كانت ضيقة النطاق ولكنها شديدة الفعل جدًّا فقتلت ٢٥٠٠٠ نفس

وتوفي في العام الماضي الاستاذ لفلر الالماني مكتشف مكروب الدفتيريا والاستاذ جمس غيكي الجيولوجي الانكليزي والاستاذ ارلخ الالماني مكتشف علاج الداء الزهري والاستاذ جمس مري الانكليزي مؤلف اوسع القواميس في اللغة الانكليزية والاستاذ بوشار الفرنسوي استاذ الباثولوجيا في جامعة باريس والاستاذ باستيان البيولوجي الانكليزي والاستاذ ملدولا الاسرائيلي الطبيعي الكيماوي والمستر بوكر وشنطون من زنوج اميركا واكبر مصلحي حال الزنوج فيها

ابن بطوطه و بلاد السودان

(تابع ما قبلهُ)

وحضرت مجلس السلطان في بعض الايام فاتي احد فقهائهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدي السلطان وتكلم كلاماً كثيراً فقام القاضي فصدقهُ ثم صدقهما السلطان وكان الى جانبي رجل من البيضان فقال لي اتعرف ما قالوهُ فقلت لا فقال ان الفقيه اخبر ان الجراد وقع ببلادهم فخرج احد صلحائهم الى موضع الجراد فهالهُ امرها فقال هذا جراد كثير فاجابت جرادة منها وقالت ان البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها . فصدقهُ القاضي والسلطان وقال السلطان عند ذلك للامراء اني بريءٌ من الظلم ومن ظلَمَ منكم عاقبتهُ ومَن علم بظلم ولم يعلمني بهِ فذنوب ذلك الظالم في عنقهِ والله حسيبهُ وسائلهُ . ولما قال هذا الكلام وضع الفرارية عمائمهم على رؤُوسهم وتبرأُوا من الظلم

وحضرت الجمعة يوماً فقام احد التجار من طلبة مسُّوفة ويسمَّى بابي حفص فقال يا اهل المسجد اشهدكم ان منسى سليمان في دعوتي الى رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلم . فلما قال ذلك خرج اليهِ رجال من مقصورة السلطان فقالوا لهُ من ظلمك مَن اخذ لك شيئاً . فقال ما معناهُ ان مشرف ايوالاتن اخذ مني ما قيمتهُ ستمائة مثقال واراد ان يعطيني في مقابلتهِ مائة مثقال خاصَّة . فبعث السلطان عنهُ للحين فحضر بعد ايام وصرفهما الى القاضي فثبت للتاجر حقهُ فاخذهُ وبعد ذلك عزل المشرف عن عملهِ

واتفق في ايام اقامتي بمالي ان السلطان غضب على زوجتهِ الكبرى بنت عمهِ المدعوة قاسا ومعنى قاسا عندهم الملكة وهي شريكتهُ في الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمهِ على المنبر وسجنها عند بعض الفرارية وولّى في مكانها زوجتهُ الاخرى بنجو ولم تكن من بنات الملوك . فاكثر الناس الكلام في ذلك وانكروا فعلهُ . ودخل بنات عمهِ على بنجو يهنئنها بالمملكة ولم يترّبنَ (١) ثم ان السلطان سرَّح قاسا من ثقافها فدخل عليها بنات عمهِ يهنئنها بالسراح وتربنَ على العادة فشكت بنجو الى السلطان بذلك فغضب على بنات عمهِ فخفن منهُ واستجرن بالجامع فعفا عنهنَّ واستدعاهنَّ . وعادتهنَّ اذا دخلنَ على السلطان ان يتجردنَ من

(١) التتريب رمي التراب على الراس قال ابن بطوطه في مكان آخر ان اهالي السودان كانوا يفعلونهُ احتراماً لملوكهم وعظمائهم

ثيابهنَّ و يدخلنَ عرايا ففعلنَ ذلك ورضي عنهنَّ وصرن يأتين باب السلطان غدوًّا وعشيًّا مدة سبعة ايام وكذلك يفعل كل مَن عفا عنهُ السلطان . وصارت قاسا تركب كل يوم في جواريها وعبيدها وعلى رؤُوسهم التراب وتقف عند المشور متنقبةً لا يرى وجهها . واكثر الامراءُ الكلام في شأنها فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دوغا على لسانهِ انكم قد اكثرتم الكلام في امر قاسا وانها اذنبت ذنباً كبيراً . ثم أُتي بجارية من جواريها مقيدة مغلولة فقيل لها تكلمي بما عندكِ فاخبرت ان قاسا بعثتها الى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنهُ الى كَنْبُرْني واستدعتهُ ليخلع السلطان عن ملكهِ وقالت لهُ انا وجميع العساكر طوع أمرك . فلما سمع الامراءُ ذلك قالوا ان هذا ذنب كبير وهي تستحق القتل عليهِ . فخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب . وعادتهم ان يستجيروا بالمسجد وان لم يتمكنوا فبدار الخطيب

ولم يذكر ابن بطوطة ما جرى لهذه الملكة بعد ذلك لكنهُ قال ان السودان كانوا يكرهون منسى سليمان لبخلهِ وذكر قصة عن كرم سلَف سلفهِ ثم استطرد الى ذكر ما استحسنهُ من افعال السودان . وما استقبحهُ منها فقال

من افعالهم الحسنة قلة الظلم فهم ابعد الناس عنهُ وسلطانهم لا يسامح احداً في شيءٍ منهُ ومنها شمول الامن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب . ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة انما يتركونهُ بيد ثقة من البيضان حتى يأخذهُ مستحقهُ . ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم اولادهم عليها واذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد اين يصلي لكثرة الزحام . ومن عادتهم ان يبعث كل انسان غلامهُ بسجادة فيبسطها لهُ بموضع يستحقهُ بها حتى يذهب الى المسجد . وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر لهُ . ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لاحدهم الاَّ قميص خلق غسلهُ ونظفهُ وشهد بهِ الجمعة . ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لاولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظهِ فلا تفك عنهم حتى يحفظوهُ

ومن مساوئ افعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرنَ للناس عرايا باديات العورات . ولقد كنت ارى في رمضان كثيراً منهنَّ على تلك الصورة فان عادة الفرارية ان يفطروا بدار السلطان و يأتي كل واحد منهم بطعامهِ تحملهُ العشرون فما فوقهنَّ من جواريهِ وهنَّ عرايا . ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات وتعرّي بناتهِ ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره

عرايا ومعهنَّ بنتان لهُ ناهدان ليس عليهما ستر · ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤُوسهم تأدُّباً · ومنها ان كثيراً منهم يأكلون الجيَف والكلاب والحمير

وكان دخولي الى مالي في الرابع عشر لجمادي الاولى سنة ثلاث وخمسين (وسبعمائة) وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرَّم سنة اربع وخمسين (وسبعمائة) ورافقني تاجر يعرف بابي بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميمة وكان لي جمل اركبهُ لان الخيل غالية الاثمان يساوي احدها مائة مثقال فوصلنا الى خليج كبير يخرج من النيل (النيجر) لا يجاز الاَّ في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يُمَرُّ احد بهِ الاَّ بالليل ووصلنا الخليج ثلث الليل والليل مقمر

ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفتهِ ست عشرة دابَّة ضخمة الخلقة فعجبت منها وظننتها فِيَلَةً لكثرتها هناك ثم اني رأيتها دخلت في النهر فقلت لابي بكر بن يعقوب ما هذه الدواب فقال هي خيل البحر خرجت ترعى في البر · وهي اغلظ من الخيل ولها اعراف واذناب ورؤُوسها كرؤُوس الخيل وارجلها كارجل الفيلة · ورأيت هذه الخيل مرةً اخرى لما ركبنا النيل (النيجر) من تنبكتو الى كَوْكَو (غوى) وهي تعوم في الماء وترفع رؤُوسها وتنفخ وخاف منها اهل المركب فقربوا من البر لئلاَّ تغرقهم · ولهم حيلة في صيدها حسنة وذلك ان لهم رماحاً مثقوبة قد جُعل في ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس منها فان صادفت الضربة رجلهُ او عنقهُ نفذتهُ وجذبوهُ بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونهُ و يأكلون لحمهُ ومن عظامها بالساحل كثير · وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمي فَرْبا مغا وهو ممَّن حجَّ مع السلطان منسى موسى لما حجَّ

اخبرني فربا مغا ان منسى موسى لما وصل الى هذا الخليج كان معهُ قاضٍ من البيضان يكنى بابي العباس و يعرف بالدكَّالي فاحسن اليهِ باربعة آلاف مثقال لنفقتهِ فلما وصلوا الى ميمة شكا الى السلطان بان الاربعة آلاف مثقال سرقت من دارهِ فاستحضر السلطان امير ميمة وتوعدهُ بالقتل ان لم يحضر من سرقها وطلب الامير السارق فلم يجد احداً ولا سارق يكون بتلك البلاد فدخل دار القاضي واشتدَّ على خدامهِ وهددهم فقالت لهُ احدى جواريهِ ما ضاع لهُ شيءٌ وانما دفنها بيدهِ في ذلك الموضع واشارت لهُ الى الموضع فاخرجها الامير واتى بها السلطان وعرَّفهُ الخبر فغضب على القاضي ونفاهُ الى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم فاقام عندهم اربع سنين ثمَّ ردَّهُ الى بلدهِ وانما لم يأكلهُ الكفار لبياضهِ لانهم يقولون ان اكل الابيض مضرٌّ لانهُ لم ينضج والاسود هو النضيج بزعمهم

حكاية — قدمتْ على السلطان منسى سليمان جماعة من هؤُلاء السودان الذين يأكلون

بني آدم معهم امير لهم وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم اقراطاً كباراً وتكون فتحة القرط منها نصف شبر و يلتحفون في ملاحف الحرير وفي بلادهم يكون معدن الذهب فاكرمهم السلطان واعطاهم في الضيافة خادماً فذبحوها واكلوها ولطخوا وجوههم وايديهم بدمها واتوا السلطان شاكرين

ثم رحلنا من هذه القرية التي عند الخليج فوصلنا الى بلدة قُرِي منسا ومات لي بها الجمل الذي كنت اركبهُ فاخبرني راعيهِ بذلك فخرجتُ لانظر اليهِ فوجدت السودان قد اكلوهُ كعادتهم في اكل الجيف · فبعثت غلامين كنت استأجرتهما على خدمتي ليشتريا لي جملاً بزاغري وهي على مسيرة يومين واقام معي بعض اصحاب ابي بكر بن يعقوب وتوجه هو لينتظرنا بميمة فاقمت ستة ايام اضافني فيها بعض الحجاج بهذه البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل · ثم رحلت الى بلدة ميمة فنزلنا على آبار بخارجها ثم سافرنا منها الى مدينة تُنْبُكتُو و بين تنبكتو وبين النيل اربعة اميال واكثر سكانها مسوفة اهل اللثام وحاكمها يسمَّى فَرْبا موسى · حضرت عندهُ يوماً وقد قدَّم احد مسُّوفة اميراً على جماعة فجعل عليهِ ثوباً وعمامة وسروالاً كلها مصبوغة واجلسهُ على درقة ورفعهُ كبراء قبيلتهِ على رؤُوسهم · وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق ابي اسحق الساحلي الغرناطي المعروف ببلدهِ بالطوَيجي وبها قبر سراج الدين بن الكوَيْك احد كبار التجار من اهل الاسكندرية

حكاية — كان السلطان منسي موسى لما حج نزل بروض لسراج الدين هذا ببركة الحبش خارج مصر وبها ينزل السلطان · واحتاج الى مال فتسلفهُ من سراج الدين وتسلَّف منهُ امراؤُهُ ايضاً وبعث معهم سراج الدين وكيلهُ يقتضي المال فاقام بمالي فتوجه سراج الدين بنفسهِ لاقتضاء مالهِ ومعهُ ابن لهُ فلما وصل تنبكتو اضافهُ ابو اسحق الساحلي فكان من القدَر موتهُ تلك الليلة · فتكلم الناس في ذلك واتهموا انهُ سُمَّ فقال لهم ولدهُ اني اكلتُ معهُ ذلك الطعام بعينهِ فلو كان فيهِ سم لقتلنا جميعاً لكنهُ انقضى اجلهُ · ووصل الولد الى مالي واقتضى مالهُ وانصرف الى ديار مصر

ومن تنبكتو ركبت النيل (النيجر) في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشتري ما نحتاج اليهِ من الطعام والسمن بالملح وبالعطريات وبحلي الزجاج · ثم وصلت الى بلد أُنسيت اسمهُ لهُ امير فاضل حاج يسمَّى فربا سليمان مشهور بالشجاعة والشدَّة لا يتعاطى احد النزع في قوسهِ ولم ارَ في السودان اطول منهُ ولا اضخم جسماً · واحتجت بهذه البلدة الى شيء من الذرة فجئتُ اليهِ وذلك يوم مولد رسول الله

صلى الله عليهِ وسلم فسلمت عليهِ وسألني عن مقدمي وكان معهُ فقيه يكتب لهُ فاخذت لوحاً كان بين يديهِ وكتبت فيهِ يا فقيه قل لهذا الامير انّا نحتاج الى شيء من الذرة للزاد والسلام . وناولت الفقيه اللوح يقرأ ما فيهِ سرًّا ويكلم الامير في ذلك بلسانهِ فقرأهُ جهراً وفهمهُ الامير فاخذ بيدي وادخلني الى مشورهِ وبهِ سلاح كثير من الدرق والقسي والرماح ووجدت عندهُ كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت اقرأ فيهِ ثم أُتي بمشروب يسمّى الدَّقْنو وهو ماءٌ فيهِ جريش الذرة مخلوط بيسير عسل او لبن وهم يشربونهُ عوض الماء لانهم اذا شربوا الماء خالصاً اضرَّ بهم وان لم يجدوا الذرة خلطوهُ بالعسل واللبن . ثم اتي ببطيخ اخضر فاكلنا منهُ ودخل غلام خماسي فدعاهُ وقال لي هذا ضيافتك فاحفظهُ لئلاَّ يفر فاخذتهُ واردت الانصراف فقال اقم حتى يأتي الطعام وجاءت الينا جارية لهُ دمشقية عربية فكلمتني بالعربي فبينما نحن في ذلك سمعنا صراخاً بدارهِ فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت اليهِ فاعلمتهُ ان بنتاً لهُ قد توفيت فقال اني لا احب البكاء فتعالَ نمشي الى البحر يعني النيل ولهُ على ساحلهِ ديار فاتي بالفرس فقال لي اركب فقلت لا اركبهُ وانت ماشٍ فمشينا جميعاً ووصلنا الى دارهِ على النيل واتي بالطعام فاكلنا وودعتهُ وانصرفت ولم ارَ في السودان اكرم منهُ ولا افضل . والغلام الذي اعطانيهِ باقٍ عندي الى الآن

ثم سرت الى مدينة كَوْكَوْ وهي مدينة كبيرة على النيل (النيجر) من احسن مدن السودان واكبرها واخصبها فيها الارز الكثير واللبن والدجاج والسمك وبها الفقوس الصناني الذي لا نظير لهُ وتعاملُ اهلها في البيع والشراء بالودَع وكذلك اهل مالي . واقمت بها نحو شهر واضافني بها محمد بن عُمر من اهل مكناسة وكان ظريفاً مزّاحاً فاضلاً وتوفي بعد خروجي عنها . واضافني بها الحاج محمد الوجدي التازي وهو ممّن دخل اليمن والفقيه محمد الغيلاني امام مسجد البيضان . ثم سافرت منها برسم تكدَّا في البر مع قافلة كبيرة للغدامسيين دليلهم ومقدمهم الحاج وُجين . ثم وصلنا الى بلاد بَرْدامة وهي قبيلة من البربر ولا تسير القوافل الاَّ في خفارتهم والمرأة عندهم في ذلك اعظم شأناً من الرجل وهم رحَّالة لا يقيمون وبيوتهم غريبة الشكل يقيمون اعواداً من الخشب ويضعون عليها الحصر وفوق ذلك اعواد مشتبكة وفوقها الجلود او ثياب القطن ونساؤُهم اتمّ النساء جمالاً وابدعهنَّ صوراً مع البياض الناصع والسِمَن . ولم ارَ في البلاد من يبلغ مبلغهنَّ في السمن وطعامهنَّ حليب البقر وجريش الذرة يشربنهُ مخلوطاً بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح ومن اراد التزوج منهنَّ سكن بهنَّ في اقرب البلاد اليهنَّ ولا يتجاوز بهنَّ كَوْكَوْ ولا ايوالاتن

ستأتي البقية

محمد قدري باشا

مقتطف مارس ١٩١٦

امام الصفحة ٢٥٣

محمد قدري باشا

ولد حوالى سنة ١٨٢١ وتوفي يوم الاربعاء في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨٦ الموافق ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ عن ٦٥ عاماً

تمهيد

اعلنت وزارة الحقانية عن حاجتها الى صورة المرحوم محمد قدري باشا لتضمها الى مجموعة صور الوزراء الذين اسندت اليهم مناصبها فتكمل بها رسوم من تولّوها الى اليوم

وكان المفهوم ان ليست لهُ صورة بمصر زعمًا انهُ لم يرسم الاَّ حينما كان في ڤينا يطبب عينيه وزعم بعض الصحف انهُ لم توُّخذ لهُ صورة وان الدكتور دري باشا وهو صديقهُ العزيز اراد يوماً ان يرسمهُ ولما فاتحهُ في الامر انكرهُ بدعوى مخالفتهِ للشرع . ويدفع هذا الزعم ان لهُ صورة عند نجل شقيق دري باشا وصورة اخرى عند نجل صاحب العزة حسين بك عمر القاضي وهي التي ارسلت الى وزارة الحقانية لاتمام غرضها

وقد حدثتني نفسي ان اجمع ترجمةً لذلك الرجل الكبير الذي خدم مصر خصوصاً في مسائلها القانونية والشرعية وبما لهُ من الموءَلفات التي تشهد لهُ بطول الباع وسعة الاطلاع والتي ثقفت عقول السواد الاعظم من المصريين المشهورين بالترجمة والتضلُّع من اللغات والآداب والانشاء

اما انا فاستقيت معلوماتي من نجلهِ محمود بك وبعض الاصدقاء واستخلصت منها ترجمة لحياتهِ النافعة الحافلة بالاعمال الطيبة اعتقاداً مني بانهُ حرام ان تندثر مثل هذه التراجم في حين انهُ لا يزال بين ظهرانينا اناس يمكن استرشادهم فيها . وقد كان لي امل ان اجد شيئًا عنهُ في الخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك فلم اجد

***

ولد المترجم بمدينة ملوي من والدين عريقين وكانت اسرتهُ قد هاجرت من بلدة وزير كوبرولي بالاناضول كما يظهر ذلك من وقفيتهِ وقد كان جدهُ والياً لتلك الولاية ووالدهُ قدري اغا وزير كوبرولي من اعيانها ولما جاء مصر واستوطنها التزم بعض القرى بملوي كالعادة الشائعة وقتئذٍ بالقطر ثم عين حاكماً بجهة ملوي . اما والدتهُ فمصرية الاصل حسنية النسب

وكان لهُ اخوان رزق بهما والدهُ من اخرى تزوج منها واصلها من الاناضول . وهما ناصر الدين قدري توفي بالاناضول عن اولاد لهُ قبل وفاة المرحوم محمد قدري باشا . والثاني قدري بك كان مابينحي السلطان عبد العزيز اي من موظفي المابين السلطاني وبقي في الاستانة الى ان توفي فيها بعد قدري باشا

ولما ترعرع المترجم بمصر أُدخل مدرسة اهلية صغيرة بملوي وبعد اتمامهِ الدروس المقررة في برنامج تعليمها جاء الى القاهرة وأُدخل مدرسة الالسن المشهورة وكان مقرّها وقتئذٍ في ابي زعبل وكانت قائمة مقام الجامع الازهر في تدريس اللغة العربية اذ كان المقرر بهِ يدرّس فيها ايام رئاسة الطيب الاثر رفاعة بك رافع الطهطاوي . وكان يدرّس فيها ايضاً من اللغات الشرقية التركية والفارسية ومن اللغات الاجنبية الفرنسية والايطالية والانجليزية . ومن فرط ولعهِ باللغة العربية كان يتردد على الجامع الازهر ليحضر دروس الاساتذة المتفقهين ومعهُ صديقهُ الشيخ محمد الخماش الشهير بالنابلسي وكان ذلك بعد تعيينهِ مترجماً مساعداً بمدرسة الالسن[1] عقب نهاية دروسهِ فيها

ومن رفقائهِ فيها بحر افندي وشيمي بك والسيد صالح بك مجدي ومحمد بك عثمان جلال وعبد الله باشا فكري وغيرهم من ارباب العقول الراجحة الذين خدموا الوطن وكانوا خير من خدموا . على ان اثارهُ القلمية اظهرت تفوقهُ بما أوثر عنهُ من العلوم التي دونها في كل فن

(١) مدرسة الالسن اسسها محمد علي والغاها عباس الاول مع المدارس الاخرى التي رأى اقفالها . قالوا وكان يصدر اوامرهُ بواسطة اشارات « الغراب » القائم اتئذٍ مقام التلغراف ولما اقفلت مدرسة الالسن ارسل رفاعة بك رافع الى السودان لكي ينشئ مدرسة في الخرطوم على مثال المدارس المصرية التي انشئت بمصر . والظاهر ان الوشايات لقيت من عباس باشا صدرًا واسعًا ضد رفاعة بك فنفاهُ بهذه الوسيلة ولم تكن طرق المواصلات سهلة فيعتبر المرسل الى تلك الاقطار البعيدة منفيًا ولذلك توسل بقصيدة استعطاف الى عباس باشا حتى اعيد الى القطر . وكان قد خمس القصيدة المشهورة لابن زريق المطبوعة في كتاب مناهج الالباب المصرية وهي التي مطلعها

لا تعذليهِ فان العذل يوجعهُ قد قلت حقًا ولكن ليس يسمعهُ

وشاع انهُ اظهر معجزة في التخميس اذ جاء في آخرها بما ينبئ بقرب رجوعهِ الى مصر وموت الوالي . وهذا الجزء من التخميس لم يطبع مع ان قصائد رفاعه بك مطبوعة كلها . قال على ما املانيهِ محمود بك قدري

اناه متصدم بالخبث قد نضحا ومذ اهانوك باؤا بالهوان ضحى
وشاع امرهم في الكون وافتضحا ومزمع الشر في امر بهِ انفضحا
وعن قريب تراهُ دمعهُ دمهُ

ومطالب كالشريعة والحقوق والرياضيات والعلوم الدينية واللغات تشهد لهُ المطابع والآداب وتلاميذهُ الكثيرون المنتشرون في اكثر الادارات

وعقب تخرجهِ من مدرسة الالسن الحق مترجماً بوزارة المالية وكان مقرها وقتئذٍ في سراي شريف باشا والد علي باشا شريف وظلت هناك نحو سبع سنوات ونقلت منها الى سراي محمد علي بالقلعة مرات ثم الى ديوان خديوي هناك ثم الى سراي العتبة الخضراء حيث المحكمة المختلطة اليوم ثم الى مدرسة عبد العزيز واخيراً الى محلها الحالي . وبسبب هذه التنقلات ضاعت بعض الدفاتر قيل وضاع عليهِ بسبب ذلك ضمُّ تلك المدة عند احتساب معاشهِ

وفي عهد ابرهيم باشا واحتلال المصريين لولاية الشام عين شريف باشا المذكور والياً لها فاستخدم المترجم واخذهُ معهُ وما زال معهُ حتى سافر واياهُ الى الاستانة ولما عاد الى مصر عاد المترجم معهُ وكان قد كف بصرهُ فظل عندهُ يترجم لهُ ما في الجرائد الفرنساوية الى التركية . وكان آية في الترجمة الى اية لغة شرقية خصوصاً العربية ثم عين لتعليم الامير ابرهيم بن احمد وذلك على عهد الخديوي اسمعيل فاستاذاً للغتين الفارسية والتركية في مدرسة الامير مصطفى باشا فاضل واخيراً انتخبهُ الخديوي مربياً لولي العهد وكان مكلفاً ايضاً تدريس التاريخ والجغرافيا في مدرسة ولي العهد المنشأة خصيصاً لتعليمهِ ومعهُ الامراء اخوتهُ وهم عظمة مولانا السلطان الحالي وشقيقهُ حسن باشا وابرهيم باشا وطوسن باشا . وكان عبدالله باشا فكري مفتشاً للغة العربية والتركية والجغرافية فيها . ولما اتم هؤُلاء الامراء علومهم وتأهلوا نظم المترجم في تهانئهم قصائد رقيقة مدونة في ديوانهِ الذي جمعهُ لهُ نجلهُ ووعد بطبعهِ قريباً

ثم كتب من دائرة ولي العهد بالاستغناء عنهُ فلما علم الخديوي بذلك استاء فوظفهُ في قلم الترجمة بالمعية السنية فالمعارف ونقل بعدئذٍ الى مجالس التجار بالاسكندرية ثم الى نظارة الخارجية رئيساً لقلم ترجمتهِ وضبط القواعد اللغوية اذ كان هو المنوط وحدهُ بتراجم الحكومة الرسمية . ومن هذه الوظيفة طُلب تعيينهُ مفتشاً بوزارة المعارف فاعتذر وقدَّم لها صديقهُ المرحوم السيد صالح مجدي بك كما يظهر من قصيدة لهُ نظمها مدحاً في عظمة مولانا السلطان حسين حينما اسندت اليهِ وزارة المعارف العمومية وقال فيها

ولو كان فكري في القريض مساعدي لكنت اوفّي نظمها واُنمّقُ
ولكن مجدي صالحٌ ومدرب وادرى بهذا الفن مني واليقُ

وبعدئذٍ نُقل الى المحاكم المختلطة مستشاراً ومنها انتخب ناظراً للحقانية في عهد الخديوي توفيق باشا وحفظ مركزهُ حتى اذا استعفت الوزارة عاد اليهِ ثم تعين وزيراً للمعارف

ومما يؤثر عنهُ في ذلك الزمن ان الامتحانات العمومية كانت تعقد علانيةً بمحل « الامفتياتر » الموجود للآن بجانب مخزن نظارة المعارف ويحضرها الخديوي والامراء والنظار والقناصل ويتبارى الطلبة فكتبت جريدة البوسفور اجبسيان منددةً بهذه الطريقة وقالت ان الامتحانات ليست الاَّ صورة امام الحاضرين لان المسائل التي توجه للتلاميذ يحضّرها الاساتذة قبلاً وتعطى لهم سرًّا ومعها الاجوبة فيلقونها كما تلقنوها . وظهر هذا الانتقاد المر في الجريدة ليلة احد الامتحانات

فلما عقدت الجلسة وحضر الخديوي وبلغهُ الخبر طلب نسخة من الجريدة فتقدم حينئذٍ المرحوم قدري باشا وقرأ امام الحاضرين هذه الجملة بلغة عربية صحيحة كأَنهُ يتلو المكتوب امامهُ بها وليس بلغة اجنبية ولما فرغ منها تناولها احد الحاضرين متوهمًا ان يرى جريدة عربية فدهش الحاضرون لما تجلت لهم الحقيقة . على انهُ لم تطل مدة وزارتهِ للمعارف فانتخب للحقانية وصدرت لائحة ترتيب المحاكم الاهلية وهو وزيرها وكان مكافئًا الاشتراك في وضع القانون المدني وقانون تحقيق الجنايات قبل صدور اللائحة والقانون التجاري ولو انها صدرت ايام كان فخري باشا وزيراً للحقانية وكذلك صدر الامر العالي باول امتداد للمحاكم المختلطة سنة واحدة في ٢٨ يناير سنة ١٨٨١ في عهد وزارة المترجم . وبعد الحقانية احيل على المعاش كما هو واضح في ملف خدماتهِ الرسمي

ومما يذكر لهُ ان السلطان عبد العزيز طلب من الخديوي اسماعيل تكليف قدري باشا ومصطفى افندي رسمي (استاذ اللغة التركية بنظارة المعارف العمومية ووالد ابراهيم باشا ممتاز) تنقيح الدستور العثماني وقد اتماهُ بهمة فائقة مستخلصاً من المؤلفات والموضوعات الاوربية ووُضع باللغات التركية والعربية والفرنسية . وفي آخر عهد الخديوي اسماعيل عند تشكيل الوزارة الاجنبية المعروف باسم Coup d'état وضع المترجم نظاماً خاصًّا لوزارة المالية وهي التي كانت مؤلفة من المسيو ده بلنيير الفرنساوي والمستر ولسن الانكليزي الذي توفي اخيراً

ومن صفاتهِ المميزة لهُ انهُ كان خفيف الروح دمث الاخلاق كريم الطباع حسن المعاشرة حلو الحديث يفكه سامعهُ فلا يملهُ ذا دعةٍ ووقار وشرف نفس وصدق طوية واسان ومحض اخلاص . وقد حدثني من أثق بصدق روايتهِ (وصدّق على ذلك نجلهُ محمود بك قدري ان كل منتسب لمدرسة الالسن كان عارفًا بفن من الفنون الجميلة لا لغرض الانتفاع بل لترويح النفس من عناء الدرس من جهة ولاسداء مكرمات من جهة اخرى . ذلك انهُ كان اذا بلغهم ان بعض الفقراء ممن يعرفونهم يحتفل بتأهيل وليس لهُ ما ينفقهُ على اقامة حفلة مهرجان كان

هؤلاء الكرام يجمعون ما يقدمون لهُ لاقامة الليلة من مأكول ونور ويذهبون ويحيون ليلتهُ في انس وانشراح حتى مطلع الفجر ولا يستنكفون . وانها لمروءة تدل على منتهى مكارم الاخلاق . وكان المرحوم قدري باشا يحسن الضرب على العود ولذلك الَّف في علم الموسيقى رسالة جعل فيها النغمات ابراجاً قيل وهو تفنن لم يسبقهُ اليهِ احد . وكان مصطفى بك رضوان يعزف على الناي وهكذا كل واحد من رفقائهما فكانوا من اهل الادب وعشاق الطرب في وقت معاً

واني اقتبس من كتاب « معلومات جغرافية » للمترجم من صفحة ٢٢٠ — ٢٢٨ باللغة الفرنساوية المطبوع سنة ١٨٦٩ ما تعريبهُ

« تعلم بمدرسة الالسن المؤسسة لتعليم المصريين ، اللغات الاوربية وما يلزم لاحياء الآداب العربية والشعر . وقد ترجم تلاميذ هذه المدرسة اكثر من الفي مجلد في كل فن ومطلب . فاسدوا الى مصر جميلاً لا ينسى وقلما يؤتى بمثلهِ . ومنهم من درس القانون الاداري وتخصص بعضهم لمهنة التعليم واشترك الجميع بواسطة ترجمة الكتب في نشر الرقي ومعالمهِ بين المصريين . فقد ترجم السيد صالح افندي اكثر من خمسين مجلداً في العلوم الرياضية والفنون الحربية وفي قانون تحقيق الجنايات . وترجم ابو السعود افندي رئيس تحرير جريدة وادي النيل كثيراً من الكتب وخصوصاً قانون المرافعات المدني وعبدالله السيد بك وسراج بك تناوبا رآسة مجلس التجار بالثغر الاسكندري وشرفا المصريين بقيامهما بخدمتها حق القيام . ومحمد البيَّاع افندي وعبد الجليل افندي (وكان السكرتير الفرنساوي لاسمعيل) اشتركا في تحرير المخاطبات الرسمية باللغة الفرنساوية في نظارة الخارجية المصرية مدة سنتين . وطبع خليفه افندي محمود جملة مؤلفات مفيدة للغاية . وترجم رشدي افندي جملة كتب الى التركية والعربية وشغل وظيفة وكيل محافظة قناة السويس . واحمد بك عبيد ورمضان افندي وعبد السلام افندي ترجموا الكتب الحربية المستعملة اليوم في المدارس والجيش . وسعد افندي واحمد حمدي افندي وعبد الرازق بك الشاعر المشهور تخرج على يدهم اكثر التلاميذ . اما امام افندي وحسن افندي المصري فهما من ابرع المترجمين بمدرسة الالسن اذ هما القائمان الآن بالتراجم في نظارة الخارجية والى الاخير (وهو والد حضرة احمد عرفان بك المصري القاضي واخوتهِ) انتسب في شرف تعليمي وتربيتي والقليل من اللغة الفرنساوية الذي اعرفهُ » ثم ختم عبارتهُ بامنيتهِ الآتية :

« وبما ان اغلب هؤلاء المترجمين قد بلغوا من العمر عتيًّا او ادركتهم رحمة الله فالمطلوب

فتح مدرسة خاصة بتعليم اللغات الاوربية والشرقية وذلك اولى من الالتجاء الى مترجمين من الاجانب حقق الله هذا المطلب وكلأً بعين عنايته اسماعيل باشا وسدد خطواته وحفظ نجله وولي عهده محمد توفيق باشا وباقي انجاله الكرام »

هذا وفي المجموعة الشافية في علم الجغرافية لمحمد مختار باشا المطبوعة سنة ١٢٨٩ اشار عند الكلام على مصر الى مؤلف قدري باشا المذكور وقال « قد اخذت ايضاً ما احتجت اليه فيما يختص بمصر من كتاب اللوذعي اللبيب محمد افندي قدري الذي اجتهد كثيراً في خدمة الوطن ومن كتب الجغرافيين الذين كانوا في وطننا وقت غزوة الفرنساويين بمصر »

والى القراء مؤلفاته وقد قسمت الى ثلاثة اقسام حسب مواضيعها ووضعها وعنوانها بلغاتها

الادبية التاريخية

Aperçu historique de l'Egypte par M. C, Caire Imprimerie Onsy et Mourès au Mouski 1869, 15 p.

(١) لمحة تاريخية لمصر طبعت بالقاهرة بمطبعة انسي وموريس بالموسكي ١٨٦٩ في ١٥ صحيفة

Notions géographiques accompagnées de quelques notices historiques sur les principals villes de l'Egypte publiées et traduites en arabe à l'usage de la jeunesse Egyptienne. Imprimerie P. Cumbo. 1869

(٢) معلومات جغرافية مصحوبة ببعض نبذ تاريخية لاهم مدن مصر جمعت وترجمت بالعربية لفائدة الشبيبة المصرية طبعت بالقاهرة سنة ١٨٦٩ بمطبعة كومبو في ٢٣١ صحيفة. وقد اهدى الكتاب الى ولي العهد

ثم اعيد طبعهُ في ڤينا بالمطبعة الملوكية سنة ١٨٧٠ حينما كان هناك مع ولي العهد يداوي عينيه ووصف نفسهُ بانهُ بدائرة ولي العهد في ٢٥٨ صحيفة وخريطة

Abrégé de la grammaire française traduite en arabe à l'usage de la jeunesse Egyptienne.

(٣) مختصر الاجرومية الفرنساوية ترجمت الى العربية لفائدة الشبيبة المصرية. وقد تكررت طبعاتها واهديت احداها الى شريف باشا بوصف كونهِ ناظراً للمعارف المعروفة انئذٍ بديوان المدارس المصرية

Nouveau guide de conversation française turque et arabe ou la langue française mise à la portée des Orientaux.

(٤) الدر المنتخب من لغات الفرنسيس والعثمانيين والعرب الفهُ ايضاً حينما كان

بدائرة ولي العهد طبع بالاسكندرية سنة ١٨٧٠ واعيد طبعهُ بالمطبعة الاهلية حينما كان بالمعية السنية

(٥) اجرومية في اللغة العربية بقواعدها ولم تطبع بعد

Guide de conversation française arabe contenant une méthode d'enseignement simple et pratique pour l'étude de ces deux langues à l'usage des indigènes et des Européens.

(٦) الدر النفيس في لغتي العرب والفرنسيس تكررت طبعاتهُ ايضاً وهو كتاب ضخم يقع في ٧٠٠ صحيفة ونيف

(٧) اللآلى السنية في ثلاثة اجزاء احدها للمفردات والاخران للجمل والامثال طبعت سنة ١٢٨٠

(٨) مفردات في علم النباتات لما كان استاذاً للغة الفرنساوية في القصر العيني مطبوع في كتاب لغوي

(٩) المترادفات باللغة الفرنساوية والعربية طبع وتكرر Vocabulaire français-arabe

Biographie de S. A. le Khedive Mohammed Tewfik Pacha.

(١٠) ترجمة سيرة محمد توفيق باشا خديو مصر يظهر انهُ وضعها بناءً على طلب سموهِ واودعت في كتبخانة المعية السنية وارسلت صورة منها لباريس لتطبع في كتاب التاريخ العام

(١١) رسالة في علم الصرف مخطوطة في عشر ورقات كتبت سنة ١٣٠٠ اشتريت وحفظت بدار الكتب

(١٢) قطر انداء الدِيَم في النصائح والمواعظ والحكم جمعهُ من كتب الادب وطبع بمطبعة المدارس على مثال مجموعة المرحوم عبد الله باشا فكري المسماة الدرر الغوال في المواعظ والامثال

(١٣) ديوان اشعار جمعهُ نجلهُ محمود بك لم يطبع بعد على حدة لكن كانت اشعارهُ وقصائدهُ تنشر في الوقائع المصرية بعضها طويلة في ١٥٠ بيتاً وكانت مجلة الشباب اشارت الى بعض اثارهِ في اعدادها الاخيرة

هذا عدا ما كان ينشر في مجلة روضة المدارس المصرية من المقالات والخطابات والتراجم خصوصاً في موضوع التمصر والتمدن والمواضيع الاجتماعية المحضة وغايتها حب الوطن

وضع او تعريب المؤلفات القانونية

(١٤) تعريب القوانين الفرنساوية المشهورة بالكود بمعرفة جماعة من افاضل المترجمين

المصريين . فالقانون المدني عربهُ رفاعه بك رافع وعبد الله بك رئيس قلم الترجمة واحمد افندي حلمي وعبد السلام افندي احمد . وقانون المحاكمات والمخاصمات في المعاملات الاهلية المعتادة (المرافعات) عربهُ ابو السعود افندي وحسن افندي فهمي احد مترجمي وزارة الخارجية

وقانون الحدود والجنايات عربهُ محمد قدري باشا وقانون تحقيق الجنايات عربهُ السيد صالح مجدي بك

جمعت كلها وطبعت بالمطبعة الاميرية سنة ١٢٨٣

(١٥) واشتغل بوضع مؤلف عنوانهُ احاسن الاحتياطات لما يتعلق بتقليل الجنايات وسماهُ بالفرنساوية .Le bon régime pour diminuer le crime وهو تحت نظر وزارة الحقانية اليوم قدمهُ ولدهُ بواسطة سعادة كحيل باشا كما اشتغل بتعريب قوانين المحاكم المختلطة حوالي سنة ١٨٧٤ مع اللجنة الرسمية المكلفة بذلك في نظارة الحقانية المنشأة حديثاً استعداداً لاختيار ما يلائم وضعهُ للمحاكم الاهلية لتطبيقها على العرف والعادة

(١٦) وبتنقيح القوانين المصرية الاهلية

Modification des codes des tribunaux indigènes.

المؤلفات الشرعية

(١٧) مرشد الحيران الى معرفة احوال الانسان في المعاملات الشرعية على مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان ملائماً لعرف الديار المصرية وسائر الامم الاسلامية . ولا يمكن لغير متضلع من الاحكام الشريعة الغراء وواقف على دقائق المذهب الحنفي ان يلم بدقائقهِ اذ لخصهُ من عدة كتب في الفقه مستشهداً باراء الائمة والمجتهدين

اما النسخة الاصلية المخطوطة فمحفوظة بدار الكتب السلطانية واشتريت من الورثة بمبلغ خمسين جنيهاً وخابر علي باشا مبارك فضيلة مفتي الديار المصرية الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي في نوفمبر سنة ١٨٨٩ (٩ ربيع اول سنة ١٣٠٧) في ذلك فاصلح وغير تطبيقاً لما عليهِ العمل وانضم اليهِ فضيلة الشيخ حسونه النواوي وكان وقتئذٍ مدرس الشريعة الاسلامية بمدرستي دار العلوم والحقوق . وصدر قرار نظارة المعارف في اواخر سنة ١٨٩٠ وطبع على نفقتها بالمطبعة الاميرية وتكررت طبعاتهُ لانهُ تقرر تدريسهُ بمدرسة الحقوق وحفظت حقوق الطبع لها . وقد ترجمهُ الى اللغة الفرنساوية سعادة عبد العزيز كحيل باشا المستشار

حالاً بمحكمة الاستئناف الاهلية ايام كان وكيلاً لمحكمة الاسكندرية الاهلية على نفقة النظارة بقرار وزاري وزيد على الترجمة من مخطوط في المقاصة وبعض مواد اخرى سلمهُ نجل المؤلف للوزارة

(١٨) قانون العدل والانصاف للقضا على مشكلات الاوقاف طبع ببولاق سنة ١٨٩٤ ترجمهُ ايضاً كحيل باشا سنة ١٨٩٦ بناء على طلب نظارة المعارف العمومية وتصديق ناظر الحقانية

(١٩) وكتاب الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية طبع ببولاق سنة ١٢٩٨ . ثم طبعهُ امين افندي هندية بترخيص نظارة المعارف وتعددت طبعاتهُ بها . وقد شرحهُ حديثاً الاستاذ محمد بك زيد الابياني مدرس الشريعة الاسلامية بمدرسة الحقوق السلطانية وقال في المقدمة : وهو ذلك الكتاب الذي وان جمع من فقه ابي حنيفه ما يختص بذات الانسان من الاحكام في مواد سهلة الفهم قريبة التناول على من ليس لهُ سابقة عهد بمزاولة فهم عبارات الفقهاء وحل رموز المتون ومعرفة اصطلاحات الشراح والمعلقين بيد ان مؤلفهُ رحمهُ الله لم يبعد بهِ الايجاز عما لم يسلم منهُ كل مختصر بل جاءَت بعض مواد كتابهِ غامضة العبارة مبهمة الاشارة والاخرى مطلقة الاحكام الواجبة التقييد . لذلك رأيت من الواجب عليَّ ان لا ابقي ايجاز هذا الكتاب على ما حوى من غزارة الفائدة عقبةً تحول دون استفادة الطالبين وطلسماً تشخص عندهُ ابصار المحصلين فلم ازل انقب اثناء تدريسي لهُ في كتب القوم فافتتح مغلقهُ واقيد مطلقهُ واكمل ناقصهُ واتمم وسائلهُ واشرح مسائلهُ الخ الخ »

وفي فهرس مكتبة محكمة الاستئناف تنسب اليهِ ترجمة الاحوال الشخصية والمواريث الى الفرنساوية طبع الاسكندرية سنة ١٨٧٨ على انهُ هو واضعهُ اصلاً وترجمة

Droit musulman. Statut personnel et de successions d'après le rite Hanafite. Traduction Alexandrie 1878

وفي دار الكتب السلطانية نسخة مخطوطة اخالها وحيدة ولم تطبع بعد اشتريت من الورثة والتركة عقب وفاة المترجم وهي :

(٢٠) تطبيق ما وجد في القانون المدني موافقاً لمذهب ابي حنيفة وهي بقلم عادي في ١١٤ ورقة في قالب الربع مسطرتها واسعة وخطها واضح جلي . جاء في الفاتحة بعد البسملة « هذا بيان المسائل الشرعية التي وجدت في القانون المدني مناسبةً او موافقة لمذهب

الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان » من بند ١ من القانون الى بند ٢٢٣٨ وفي كل بند يذكر موافقتهُ او عدم موافقتهِ للمذهب وموافقتهُ بالمطابقة او حيث لا مانع شرعاً ثم يشير معيناً المواد في القانون الاهلي سواء كان مدنيًّا او في الجنايات · وفي اعتقاد كل منصف انهُ عمل شاق لا يعرف قدرهُ الاَّ عالم متبحر قدير ولم يذكر في اي سنة وضعت ولا كاتب النسخة

***

ولما توفى يوم الاربعاء السابع عشر من ربيع الاول سنة ١٣٠٦ نعتهُ الوقائع المصرية فقالت :

« في الليلة الماضية انتقل من هذه الدار الفانية الى دار النعيم والبقاء المرحوم قدري باشا ناظر الحقانية المصرية والمعارف العمومية سابقاً ولما ابلغ هذا الخبر الى المسامع العلية الخديوية امر الجناب العالي حفظهُ الله باجراء ما يجب من التوقير والاحترام في تشييع جنازتهِ لما كان لهُ رحمهُ الله لدى الجناب العالي من المكانة والاعظام

« وفي صبيحة هذا اليوم توافد الناس الى منزلهِ رحمهُ الله للاحتفال بتشييع الجنازة فكانوا عدداً عديداً من الامراء ورجال الحكومة السنية وذوي المناصب الرفيعة الملكية والعسكرية وجمّاً غفيراً من كبراء الموظفين واماثل الوجوه والاعيان وطنيين واجنبيين. وكان في مقدمة الكل كثير من حضرات العلماء الاعلام ورجال المعية السنية الكرام فشيعت جنازتهُ رحمهُ الله على اكمل ما يكون من التكريم والتبجيل وكانت علامة الحزن والاسف ظاهرة على المشيعين حتى اوصل جسدهُ الى جدثهِ مأسوفاً عليهِ من العموم

« قد كان رحمهُ الله رجل الجد في العمل وواحد الاقبال على العلم ومحبة ذويهِ تشهد لهُ موءلفاتهُ بالفضل العظيم · سباقاً الى الخير كريم الطبع واسع الصدر لطيف المجاملة اهلاً لكل كرامة نالها من لدن حكومة الجناب العالي الخديوي والتفات جنابهِ الكريم وموضعاً عليًّا لمحبة عموم الناس على اختلافهم في المنازل والدرجات. رحمهُ الله رحمة واسعة وعوض اهل مصر واهليهِ خيراً على مصابهم فيهِ واتاح لهم الصبر الجميل والاجر الجزيل »

وقالت في عدد تالٍ :

« في صباح هذا اليوم توجه حضرة محمود افندي قدري نجل المغفور لهُ قدري باشا الى سراي عابدين العامرة وقدم للاعتاب الخديوية مزيد الشكران وفائق الامتنان بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن عائلة والدهِ المرحوم على التعطفات الخديوية الكريمة التي شملت والدهُ مدة

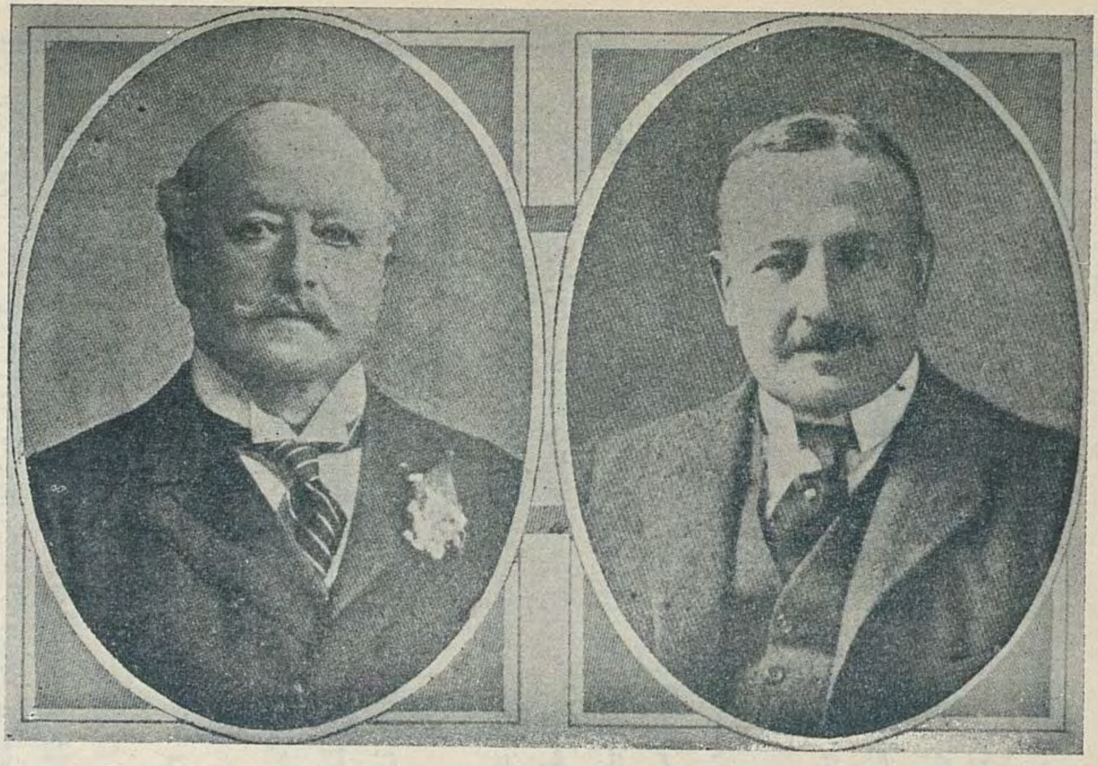

السر هري لوصن الذي صار لورد برنهام

لورد برنهام المتوفَّى

مقتطف مارس ١٩١٦
امام الصفحة ٢٦٣

مرضهِ الذي لم ينجع فيهِ دواء ولم يؤثر فيهِ العلاج وعلى الاحتفال الجليل بجنازتهِ بناءً على نطقهِ السامي · فابدى لهُ الجناب الخديوي الافخم مزيد اسفهِ على هذا المصاب وانهُ مشارك لهُ ولعائلتهِ في الحزن الذي شملهم · ولما بشرهُ الجناب الرفيع حفظهُ الله بانهُ لا يزال يلحظهُ بعين عنايتهِ اخذتهُ دهشة السرور عن ان يبدي ما يفي بشكر هذه النعمة الجليلة ادام الله الخديوي الاكرم منبعاً للخيرات ومصدراً للنعم امين »

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية

الديلي تلغراف وابو صحافة لندن

الصحافة قديمة في البلاد الانكليزية يرجع تاريخها الى اكثر من ثلثمائة سنة ولكن الصحف اليومية الكبيرة الحجم الرخيصة الثمن المعروفة الآن حديثة جداً يرجع الفضل فيها الى رجل توفي حديثاً وهو لورد برنهام صاحب جريدة الديلي تلغراف ويلقبهُ الانكليز بابي صحافة لندن

انشأ الديلي تلغراف الكولونل سلاي واصدر اول عدد منها في ٢٩ يونيو سنة ١٨٥٥ لكنهُ لم يفلح وتراكم عليهِ الدين فاشترى الجريدة منهُ رجل اسرائيلي اسمهُ يوسف موسى لاڤي كان قد اتجَّر وصار على شيءٍ من الثروة · وكان ثمن النسخة منها بنسين اي ثمانية مليمات فجعلهُ بنساً واحداً واصدر اول عدد منها بهذا السعر في ١٧ سبتمبر ١٨٥٦ وكانت اربع صفحات فقط · وهي اول جريدة يومية بيعت بهذا الثمن في مدينة لندن · وكانت جريدة التيمس قد احتكرت مشاهير الكتَّاب وجماهير القراء على غلاء ثمنها فرأى المستر لاڤي ان رخص الثمن وحدهُ لا يكفي لمناظرتها فاستخدم مشاهير الكتَّاب للتحرير في المواضيع السياسيَّة والاجتماعية ونقدهم الرواتب الطائلة · ولا تزال الديلي تلغراف الى يومنا هذا ومحرروها ومراسلوها من مشاهير كتَّاب الانكليز · ومن الذين تولوا تحريرها ومراسلتها السر ادون ارنولد والمستر سلاً والشريف فرنك لولي والمستر ادورد ديسي والدكتور تريل والدكتور ديلون واللورد دنراڤن واللورد رسل والمستر ونستن تشرشل والسر كمبل كلارك وكثيرون من امثالهم

واشتغل ادورد ابن المستر لاڤي بجمع حروف هذه الجريدة في صباهُ ثم تدرَّج الى الى التحرير فيها ثم ارتقى رويداً رويداً حتى تولَّى رئاسة التحرير ولُقّب بالسر ادورد لوصن

وهو الذي صار لورداً بعد ذلك باسم لورد برنهام و بسعيهِ ابطلت الحكومة الضريبة التي كانت تتقاضاها من الجرائد فتيسَّر لهُ ان يكبر الديلي تلغراف و يوسع صفحاتها و يزيد عددها و ينفق على الاعمال العلمية النافعة وهو الذي ارسل العالم جورج سمث الى العراق للبحث عن آثار نينوى فاكتشف القطع المفقودة من الصفائح التي نقش عليها خبر الطوفان مع ما اكتشف من الآثار الاشورية . واشترك مع صاحب جريدة نيو يورك هرلد في ارسال ستانلي الى افريقية في رحلتهِ الثانية للبحث في مجاهلها فمسح بحيرة فكتوريا و بحيرة طنجانيكا واثبت ان نهراللوالايا هو نهر الكنجو . و بمساعي الديلي تلغراف راد السر هري جنستن بلاد كليمنجارو وقطع المستر ليونل دكل المسافة من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة . و بسعيها ايضاً جُمعت اموال طائلة لكثير من الاعمال العمومية النافعة

وكانت الديلي تلغراف من جرائد الاحرار و بقيت كذلك الى سنة ١٨٧٨ وحينئذٍ قاومت غلادستون وصارت لسان حال المتحدين اي الذين انفصلوا عن الاحرار واتحدوا مع المحافظين وهي تفاخر بانها اول جريدة انكليزية نشرت خبر عقد الصلح بين فرنسا والمانيا بعد حرب ١٨٧٠

قلنا ان الديلي تلغراف كانت اربع صفحات صغيرة في اول امرها وقد زيدت رويداً رويداً وهي تصدر الآن ١٦ صفحة كبيرة ولم يزل ثمن النسخة منها بنساً واحداً او اربعة مليمات وهذا الثمن لا يكاد يفي بثمن ورقها فدخلها كلهُ من اعلاناتها . ففي آخر عدد نراهُ امامنا الآن منها اعلانات تملأُ ستين عموداً وقد يكون في العمود منها اكثر من ٣٠٠ سطر و يقال ان دخلها السنوي من الاعلانات يبلغ نحو ستمائة الف جنيه فلا عجب اذا استطاع اصحابها ان يدفعوا الرواتب الطائلة لمحرريها ومراسليها و ينفقوا بسخاء على الاعمال العمومية و يقدموا للقراء يوميًّا جريدة فيها من المواد والاخبار المجموعة من اقطار المسكونة ما يملأُ كتاباً كبيراً بثمن لا يزيد على اربعة مليمات

و توفي لورد برنهام في التاسع من يناير الماضي وخلفهُ ابنهُ السر هري لوصن فصار يلقب لورد برنهام وهو مثل ابيهِ في علو الهمة ولين العريكة وكان قد شارك اباهُ في ادارة الديلي تلغراف منذ سنة ١٨٩٠

علم الانسان

شكل الجمجمة واللون

لو سئل احد العامة بمَ تميز اجناس الناس بعضهم عن بعض لأَجاب على الفور بلون بشرتهم . وتراهُ يفرّق عادة بين اللون الاسمر الخلقي وبين الاسمر المجلوب بتلويح الشمس وتأثير الاقليم . ولكننا اذا ذهبنا الى متحف من المتاحف الكبرى لم نستطع تطبيق قاعدتهِ على ما فيها من بقايا الناس قبل التاريخ لان تلك البقايا عظام بلا جلد فلا يمكننا والحالة هذه تمييز صنف عن صنف باللون فنعمد الى شكل العظام وخصوصاً شكل الجمجمة . فيرى من ذلك ان شكل الجمجمة واللون يساعداننا على معرفة بعض الشيء في هذا البحث الواسع

— شكل الجمجمة —

على ان معرفة شكل الجماجم لمقابلة بعضها ببعض اعسر كثيراً مما يظنّ . لان نسبة اجزاء الجمجمة بعضها الى بعض لا تبقى على وتيرة واحدة فلا يمكن الاهتداء الى مقياس معين للقياس بهِ . وجهد ما في الامر اننا نحكم بوجود اوجه للشبه او للخلاف بين الجماجم بانين حكمنا على متوسط مجموع النسب التي بينها . وذلك بان يقاس طول الجمجمة ويحسب ١٠٠ ثم يقاس عرضها و يعبّر عن شكلها بنسبة العرض الى الطول . وهذه النسبة تعرف باسم الدليل الجمجمي وتختلف بين ٥٨ و ١٠٠ . فكلما اقترب العرض من الطول كانت الجمجمة اقرب الى الاستدارة وسميت مستديرة او مفلطحة وكلما تباعدا سميت طويلة او مصفَّحة

وطول الجمجمة هو خط مستقيم مرسوم من البَلَج اي الفرجة بين الحاجبين الى ما برز من القفا . وعرضها خطّ مرسوم بين ما برز من عظم الجمجمة من الجانبين فوق الاذنين . و يقال غالبًا ان الزنوج والاسكيمو والبربر وسكان شمال اوربا من اهل الجماجم الطويلة . وان الاسيو يين الساميين سكان السلطنة العثمانية و بعض السلاف من اهل الجماجم المستديرة . ومعظم الانكليز من الاولين ومعظم الفرنسو يين من الثانين

وقد ظهر من ابحاث بعض الباحثين ان الاقليم يغير شكل الجماجم كثيراً بطريقة مجهولة . فان جمجمة اليهودي من سكان شرق اوربا اقصر واوسع من جمجمة اليهودي الذي ولد

في اميركا وكان ابواه قد هاجرا اليها من شرق اوربا . وهذا الفرق اكثر ظهوراً في النسل الثاني منهُ في الاول . وكلُّ ما يقول علماء الانثروبولوجيا في تعليل هذا التغيير ان للجمجمة في سني الصغر مرونة تجعلها عرضة لتأثير الاقليم . واذا كان شكل الجمجمة يتغير بتأثير الاقليم افلا يتغير الدماغ كذلك . وبعبارة اخرى اذا كان شكل الراس الطويل الموروث يتغير بتغير المحيط فما القول في ضعفاء المدارك الذين ورثوا ذلك الضعف ابًا عن جدّ

اما وقد عرفنا الدليل الجمجمي فلنبحث في اصناف الناس الذين وجدوا قبل زمن التاريخ ولنأخذهم بهذا الدليل فنقول :

اكتشف الدكتور دوبوى في جزيرة جاوى بقايا انسان سمّي « بيثكانثروباس » اي الانسان القردي . وهذه البقايا هي قحف جمجمة وبضع اسنان وعظم فخذ . وقد ذهب مكتشفها الى ان الطبقة الجيولوجية التي وجدت فيها هي المسماة بليوسين (Pliocene) وهي من طبقات العصر الثلاثي (Tertiary) الذي ليس لدينا دليل يرجح وجود الانسان فيهِ . ومع ان دوبوى دافع عن مذهبهِ بحجج قوية فان جمهور العلماء ميالون الى الاعتقاد بان تلك البقايا هي بقايا صنف من القرد المعروف باسم جبون لا بقايا انسان . وقد قال بعض العلماء في صاحب تلك البقايا انهُ حلقة مفقودة لا ريب فيها لانهُ ان كان قرداً فقد كان ذا دماغ عظيم الحجم وان كان انسانًا فقد كان ابله

ويلي هذا الانسان القردي انسان هيدلبرج اكتشفت آثارهُ في المانيا وهي الفك الاسفل باسنانهِ كاملة . وقد وجد على عمق ٨٠ قدماً واكثر مع آثار حيوانات اخرى تمكننا من تعيين قدمها ببعض الدقة . وقد حسبوا انها تنتمي الى العصر الشلي نسبة الى شلّ (Chelles) في فرنسا . اما الفك فيشبه فك الغورلاّ في قوتهِ وخلوّهِ من الذقن . واما الاسنان فاسنان انسان بلا جدال

ويلي هذا جماجم انسان نياندرتل نسبة الى نياندرتل في المانيا حيث وجدت اول جمجمة من نوعها سنة ١٨٥٦ وهي ضيقة ذات جبهة منخفضة متقهقرة وحجاج بارز . ومع ذلك فهي ضعفا جمجمة الغورلاّ في سعتها . فهذه الاوصاف القت الشقاق بين العلماء فانقسموا فئات واحدة تقول ان صاحب الجمجمة قرد . وثانية انهُ انسان سويٌّ . وثالثة انهُ انسان ابله . ولسوء الحظ لم يتمكنوا من معرفة قدم الجمجمة ولكنهم وجدوا سنة ١٨٦٦ فك

امرأة قوياً وبلا ذقن في بعض كهوف البلجيك ومعهُ بقايا بعض الحيوانات المعروف عصرها بالتقريب كالموث وفرس النهر الصوفي والوعل او الرنّة · وكانوا قد وجدوا قبل ذلك ببضع سنوات جمجمة في مقلع للحجارة عند جبل طارق فسميت جمجمة جبل طارق وهي ضيقة ذات قحف منخفض وحجاج بارز · ووقبتا العينين دائرتان واسعتان وبعيدتان الواحدة عن الاخرى والاسنان منظومة على شكل نعل الفرس كما في القرد · والوجه اقرب الى وجه القرد منهُ الى وجه الانسان · وقد وجد من هذه الجماجم حتى الآن عشرون او اكثر ووجد بعض هيا كلها معها

وخلاصة القول في اصحاب هذه الجماجم ان شكل جماجمهم اشبه بجمجمة القرد منهُ بجمجمة الانسان الى حدّ محدود ولكن سائر اوصاف الجمجمة واوصاف سائر العظام تطابق اوصاف معاصرينا من سكان استراليا الاصليين · ومع ذلك فقد كانوا ناساً ذوي ادمغة يعتقدون بالحياة بعد الموت كما دلت رسومهم

وقد وجدت في اوربا اشكال اخرى من الجماجم القديمة اشهرها اثنان · ففي كهف من كهوف منتون في فرنسا وجد هيكلان عظميّان في احدى الطبقات السفلى ظن انهما يشبهان هيا كل الزنوج الحديثة ولما لم يوجد مثلها في اوربا ولا في غيرها لم يستطع العلماء البتّ في امرهما ووجدت في طبقة اخرى فوقها وفي كهوف اخرى من كهوف منتون عظام من صنف آخر يدلّ احدها على ان صاحبهُ كان جباراً · وهو ينتمي الى صنف او شعب سمّوا كرومانيون نسبة الى المكان الذي وجدت عظامهم فيهِ وعاشوا بعد عصر الانسان « المستيريان » الذي وردت الاشارة اليهِ في هذه المقالات · اما شكل جماجمهم فارقى من اشكال الجماجم التي سبق وصفها بكثير فان الجبين مرتفع والذقن ظاهر منتظم الحدود ولا يبرز الحجاج ولا الفك الاسفل فيها بروزهما في انسان نياندرتل · ولا يعلم بالتحقيق هل لهذا الشعب اثر في اوربا ومن رأي البعض انهُ لا يزال منهُ اثر في مقاطعة دوردون بفرنسا

وقبل التخلّص من باب شكل الجمجمة الى باب لون البشرة لا بدّ من القول انهُ ليس بين خواص الاجناس المختلفة خاصة الاَّ وهي خادعة فلا يصحّ الاسترشاد بها على الدوام · ولا يشذ شكل الجمجمة عن ذلك · فان الاقزام سكان الكنغو والبشمان سكان جنوب افريقية من جنس واحد في حين ان رؤوس الاولين متوسطة بين الاستدارة والطول

ورؤوس الآخرين طويلة · وترى رؤوس الهنود الاميركيين مختلفة الاشكال في حين انهم من جنس واحد

— اللون —

قسم لينيوس الناس قبل داروين الى اربعة تنوعات الابيض الاوربي · والاحمر الاميركي · والاصفر الاسيوي · والاسود الافريقي · ولم يكن يخطر بباله اذ ذاك ان يضع بهذه القسمة اساساً لحدود طبيعية تفصل بين تنوع وتنوع · وانما اراد بها وضع اساس للحدود الاصطناعية لانهُ كان يرى رأي بوفون من ان الناس كلهم من نوع واحد ولكن الاقليم يصبغهم باصباغ مختلفة ويلوّن كل تنوع بلون · ولكن الداروني ينقّب في ابحاثهِ عن مميزات طبيعية تميز الناس بعضهم من بعض من حيث التسلسل · فالجنس والتسلسل عندهُ شيءٌ واحد · فان وجدت علامة للجنس وجب ان تنوب مناب جميع الخواص التي تتألف الوراثة منها وذلك بان توجد معها · افيصحّ والحالة هذه حسبان اللون علامة جنسية بهذا المعنى العميق ؟

وقبل الجواب عن هذا السؤال لنسأل ما هي فائدة اللون ؟ هل ترافقهُ احياناً صفات مفيدة كما ترافق الخط الذي يعرف عند قارئي اسرار اليد بخط القلب و يكون ذلك اتفاقاً لا معنى لهُ ولا دلالة قريبة او بعيدة ؟ وواقع الامر ان اللون في العرف اما ان يكون نعمة لصاحبهِ او نقمة عليهِ في تنازع البقاء · ولا مشاحة فيما لهُ من الاثر الآن في الانتخاب الجنسي اي الانتخاب للتزاوج سواءٌ كان ذلك في الانسان ام في سائر الحيوان هذا اذا لم نقل شيئاً عن تفضيل الناس للون على لون من الوان الوجوه وما يتلو ذلك من التحزّب والغرض الاعمى كما هو مشهور · فان الحيوانات الدنيا تقاد بالظواهر التي تؤثر فيها عند انتخاب الازواج واللون احدى تلك الظواهر بل اظهرها · وكذلك الناس رجالاً ونساءً يعولون في ذلك على احكام عيونهم دون احكام عقولهم

على انهُ وان كان للون في الرجل شأناً في المسائل الزوجية بين الناس لم يُرَد في الاصل على ما يظهر لما اريد اللون لهُ في ذكر الطير مثلاً · ولا نقول انهُ خالٍ من الفائدة فيهِ بالمرة بل انهُ مفيد في التزوج وفائدتهُ محصورة وقائمة بكونهِ علامة على القوة والنشاط · ولا ينكر ما للون من العلاقة بالاقليم فان المميزات الجنسية البدنية ومنها اللون نشأت في عصور بعيدة لقبها بعضهم بعمل الاجناس · ولا بدّ ان يكون عمل الانتخاب الطبيعي فيها قد اقتصر

في الاكثر على الجسم دون العقل اذ لم يكن العقل قد صار في ذلك العهد الشرط الاول للبقاء . وفيما عدا ذلك فالمسئلة مسئلة جغرافية لا غير . ففي الاقاليم الحارة التي هي مسكن القرود المشابهة للانسان والتي كانت مسكن الانسان الاول يحمي الجلد الاسود صاحبهُ من نور الشمس . ويقال ان الجلد الابيض يقتصد في اشعاع حرارة الشمس في البلاد الباردة ولكن هذا القول لا يزال في معرض الشك . اما الالوان الباقية وهي الاسمر والاصفر والاحمر فالوان متوسطة بين الابيض والاسود وملائمة لما توسط من الاقاليم بين البارد والحارّ

ولا يغرب عن البال ان لسهولة الانفعال يداً في تعيين لون البشرة . فان الانكليزي الذي يقضي جزءًا كبيراً من عمرهِ في حراثة الارض في الهند مثلاً تكتسب بشرتهُ سمرةً لا يزيلها صابون ولا مادة اخرى ولو قضى بقية عمرهِ في انكلترا وطنهِ الاول . على ان المسائل التي لم تحلّ حتى الآن هي هل يتوارث الاولاد عن والديهم هذا اللون فيصبح خاصة من خواصهم؟ وان كانوا يتوارثونهُ فالى اي حدّ ؟ وهل تقصر الوان السود المقيمين في البلاد الباردة والى اي حدّ ايضاً ؟ هذه مسائل لا بدّ للجواب عنها من تجارب طويلة اختص بها بعض العلماء على ما هو معروف

اما الغرض الاول من اللون فالوقاية من نور الشمس كما تقدم القول . ولكن المتمدنين والذين ينتمون اليهم يحتالون على الشمس بلبس الثياب فلذلك اخذ لون البشرة يفقد الغرض الاصلي منهُ وبات اقرب الى الكماليات منهُ الى الحاجيات . فهل يُفقَد هو على مرّ الزمان ؟ . والذي يراهُ العلماء انهُ يَفقد على مرّ الزمان الطويل مزيتهُ الاصلية وهي وقاية صاحبهِ من عوادي الاقليم وتغيراتهِ وتصييرهُ صالحاً للبقاء فيها . ومهما يكن من ذلك فان الاهواء والتحزبات الجنسية المؤسسة على لون البشرة لا بدّ ان تضمحل متى ظهر من السود والسمر والصفر صفات عقلية تمكنهم من مزاحمة البيض في احوال متشابهة وفي بلاد مختلفة الاقليم

وهذا يفضي بنا الى البحث في الاجناس من حيث مظهرها العقلي . فما هو العقل وما هو محكّهُ ؟

مصر منذ تسعين سنة

(٣)

« حادثة سليمان آغا »

كتبت عقد الايجار في البيت لمدة ستة شهور وانفقت مالاً كثيراً لفرشهِ ومشترى اثاثهِ. وهاهم يقولون لي اما ان تتزوج او ان تتسرى او ان تخرج منهُ

في اليوم نفسهِ ذهبت الى فندق دومرج Domerg لاستشير صديقي المصور وقبل ان اصل الى هناك رأيت في ساحة العتبة الخضراء جمعاً من السيَّاس يروضون الخيل . وفيما انا واقف اذا بشاب منهم ضخم الجثة يلبس جلاَّبية زرقاء وعلى كتفهِ مشلح اصفر هجم عليَّ وعانقني فتبينتهُ فاذا هو سائس سليمان آغا الذي التقيت بهِ على السفينة النمسوية في البحر الادر ياتيك وقد ذكرتهُ فيما سبق [1] فدفعتهُ عني برفق وقلت لهُ كلمة الاستحسان « طيّب طيّب » ولما التفتُ ورائي لادعو ترجماني عبد الله وجدتهُ ابتعد عني انفةً وترفعاً بعد ان رأى سائساً حقيراً من العامة يعانقني علناً . فقد افسد السياح الانكليز اخلاق هذا الرجل وجعلوهُ مثلهم انوفاً مترفعاً

فاخذ السائس بتلابيبي وقادني الى دار واسعة بالقرب من هناك رأيت فيها سيدهُ سليمان آغا متربعاً على مصطبةٍ فلما رآني عرفني ونهض لاستقبالي مرحباً بي واجلسني قريباً من مقعدهِ وكانت تلك الدار من دور الباشا حاكم مصر وسليمان آغا من اتباعهِ وقد جعلهُ مديراً لاسطبلاتهِ فاقبل الخدم وقدموا لي شبقاً قصيراً ودارت علينا القهوة اليمنية ذات الرائحة الذكية في فناجين ضمن ظروف من النحاس اللامع والتف حولنا جماعة يشاركوننا في شربها

اما ترجماني فلم راى احد اتباع الحاكم يحتفي بي دخل وجلس بجانبي وجعل يترجم بيني وبين سليمان آغا الذي لم يعرف سوى بعض عبارات ايطالية التقطها مدة اقامتهِ في البندقية فاغتنمت هذه الفرصة لاستشارة سليمان آغا في امر تزوّجي وقصصت عليهِ ما حدث لي مع القبطية صاحبة البيت وذكرت لهُ حديث شيخ الحارة فاصغى الى كلامي بانتباه واخيراً قهقه ضاحكاً وقال لي

(١) ذكر السائح هذا الرجل في الجزء الاول من سياحتهِ قبل وصولهِ الى مصر وقال انهُ من اتباع محمد علي باشا ارسلهُ الى اوربا ليوصل بعض الطلبة المصريين وفي الوقت نفسهِ كلفهُ مشترى بعض الخيل وغيرها من اسواق اوربا

— لقد صدقك شيخ الحارة واخلص لك النصيحة فمن كان مثلك شاباً وفي سعةٍ من العيش يجب ان يتزوج لا مرة واحدة بل مراراً (يعني ان اجمع بين الزوجات)

— ولكن ديننا وعاداتنا تحرم علينا التزوج باكثر من امرأة واحدة فمن اتخذ زوجة لهُ فهي رفيقة حياتهِ فيحسن بهِ والحالة هذه ان يتروى في انتخابهِ تلك الزوجة الدائمة

— ها ها يظهر انك تندد في كلامك ضمناً بشريعتنا المطهرة · هل تخلص لكم زوجاتكم الروميات (يعني الاوربيات) الحب بعد ان يسفرن الوجوه و يظهرن محاسنهن لكل عابر سبيل

ثم قهقه والتفت نحو الجالسين حولهُ وقال لهم بالعربية : « لقد رأيت في اوربا كل النساء سافرات الوجوه عاريات الصدور عليهنَّ ملامح الشهوة والغرام يحدقن بنظراتهنَّ الفاتنة في كل شاب و يصافحن القريب والبعيد » · فقهقه الجميع من هذا الكلام · فاجبت الاغا بواسطة ترجماني « انك تعني النساء المتهتكات وهنَّ كثيرات في شوارع اوربا اما النساء المحصنات فلا يخرجن من بيوتهنَّ الاَّ مع ازواجهنَّ او مع ذوي قرابتهنَّ »

فلم يجب سليمان آغا على ملاحظتي هذه واستأنف الكلام فقال « وفضلاً عن ذلك ليس في بلادكم جمال رائع والمرأة عندكم مهما كانت جميلة اشبه شيء بزهرة ذابلة فانها ممتقعة السحنة وعليها ملامح الامراض والشقاء واكثر النساء فقيرات يتضورن جوعاً و يشتغلن كالرجال او يخامن العذار لتحصيل قوتهن · او ارامل قتل ازواجهن في الحروب(١) · اما المرأة عندنا فتعيش مع ضراتها وخادماتها براحة وهناء

ووصف لي في حديث طويل كيفية المعيشة الداخلية عند الاسر الغنية وان كل شيء يحفظ بنظام واخيراً ختم حديثهُ بدعوتي الى الاسلام قائلاً انهُ دين الحق في الدنيا ودين الجنة في الآخرة · فشكرتهُ على ذلك ووعدتهُ بالتروي بعد ان ادرس اصول هذا الدين وخرجت من عندهُ مودعاً · ولم يعلم هذا الغيور على دينهِ انهُ عبثاً يحاول اقناع تلميذ من تلاميذ فولتير بانتحال دين مخصوص · وعندي ان كل الاديان التي يعبد الله فيها وتأتمر بالشرائع الطبيعية بسواءٍ · ثم ذهبت من هناك قاصداً مقابلة صديقي المصور

— وصف الموسكي —

خرجت من الميدان فالتقيت عند مدخل الموسكي بتجارة لمسيحي رومي (اوربي) داخلها

(١) لقد صدق سليمان في قوله هذا فان اوربا في ذلك العهد كانت شعلة نار بعد ان اوقد بونبارت نار الحروب في جميع انحائها من غربيها الى شرقيها حتى قلب روسيا فبات اكثر نساء اوربا ارامل او ثواكل قتل ازواجهنَّ وابناؤهنَّ في الحروب والمجازر التي يصفونها « بالمعارك المجيدة »

براميل الخمر وصاحبها جالس امام بابها ولباسهُ يدل على انهُ نصف شرقي ونصف اوربي ولا اعلم هل كان يونانيًا او مالطيًا او مرسيليًا · وكان يحمل في يدهِ سوطًا مصنوعًا من ذنب ثور لاظهار سلطتهِ على مثال الافرنج والاتراك · اما المصري فلا يجوز لهُ ان يحمل بيدهِ سوطًا بل لهُ ان يتلقى قرعاتهِ على ظهرهِ

ورأيت عند باب الخمارة جمعًا من المتسولين متوسدي التراب عراة الابدان اكثرهم عميان او من ذوي العاهات يستعطون من الافرنج المترددين الى الحانة او من السياح · وبالقرب من ذلك المكان مكتبة مدام بونوم يجتمع فيها كثيرون من الافرنج والسور يين والاتراك المتعلمين لقراءة الكتب ومطالعة الجرائد التي ترد من فرنسا · وهذه المكتبة جعبة اخبار الشرق والغرب

ثم دخلنا سوق الموسكي وهناك المخازن الكبيرة على الجانبين تعرض فيها السلع على انواعها من انسجة وحلى وغيرها من المصنوعات الاوربية واكثر التجار من الافرنج والسوريين· ولا يؤم هذه السوق احد من المصريين لانهم لا يجدون ما يحتاجون اليهِ وكل ملبوساتهم من المصنوعات البلدية والشامية التي تباع في الغورية

وعن شمال مدخل الموسكي حي الافرنج والسور يين (درب الجنينة) وفيهِ كنائسهم وبيوت القناصل · و بالقرب من الخليج حانة لاحد الانكليز سميت حانة بيرا والحقيقة انهُ ليس فيها سوى الهو يسكي والماديرا والآيل (العرقي الانكليزي) يمزجهُ صاحبهُ بماء النيل · و بالقرب من هناك اجزاخانة كاستانيولا الشهيرة مجتمع العظماء من الاتراك والمشيرين والقواد والوزراء والامراء والبكوات واكثرهم من الافرنج منتحلي الاسلام او من بقايا الحملة الفرنسوية الذين فضلوا الاقامة في مصر على العود الى بلادهم ودخلوا في خدمة الباشا فمنهم اطباء ومهندسون واساتذة علم وقوَّاد · وفي داخل الاجزاخانة مجلس مزين بالمقاعد الحريرية وعلى جدرانها الصور والنقوش البديعة · وهؤلاء القوم يجتمعون للمسامرة والحديث و يتعاطون المشروبات الفاخرة والخمور المعتقة و يتناقلون الاخبار الشرقية والغربية · والاجزاخانة اشبه بمجتمع سياسي للعظماء بل هي مركز البريد لان اكثر الرسائل التي ترد من اوربا باسم الافرنج توزع على اربابها في هذا المكان ولكن على غير انتظام لان البواخر لا تنقل البريد الى الاسكندرية الاَّ مرةً واحدة في الشهر

وقد التقيت في هذه الاجزاخانة بصديقي مارلهات المصور فرحب بي وعرض علي ان ارافقهُ الى نزهة داخل البلدة يأخذ فيها بعض رسوم ومشاهد قديمة · فقبلت دعوتهِ وصرفت

الترجمان لعدم احتياجي اليهِ . وقد سررت من مرافقة المصور في داخل احياء المدينة مؤملاً مشاهدة ما فيها وقصدت ان اتوغل في الازقة والاسواق الاهلية وهو ما لا يتمّ لي بمرافقة الترجمان اذ كان يقول لي ان تجوال الافرنجي وحدهُ في تلك الاحياء بين المسلمين ذو خطر عظيم على حياتهِ . وقد وجدت بعد اختباري انهُ مخطئ في زعمهِ هذا لان المصريين مسالمون . ثم ان اكثر التراجمة جهلاء لا يعلمون من المدينة سوى بعض آثارها القديمة وهم اذا ساروا وحدهم في احيائها الاهلية يضلون السبيل وامنيّتي الوحيدة هي الاختلاط بطبقات الامة لادرس اخلاقهم

***

استأجرنا ثلاثة حمير فركبنا اثنين ووضع المصور عدتهُ وكرسيهُ والواحهُ على الثالث وكان الحمّار صاحبها يتبعنا وهو يزعجنا بصراخهِ المتواصل « يمينك شمالك » اما اذا رأى امرأة فانهُ ينتهرها بغضبٍ واحياناً يدفعها بيدهِ بخشونة قائلاً لها « اوعي يا بتّ » وذلك دليل على سلطة الرجل على المرأة عند الشرقيين مهما كان مقامهُ

فاجتزنا قنطرة الخليج وسرنا في سوق طويلة فيها دكاكين باعة الخزف والصيني تتخللها حارات ضيقة وجوامع خربة ينتهي آخرها الى سوق العطارين (لعلهُ سوق الحمزاوي الآن) . ثم جلنا في شوارع بعضها كثير الزحام وبعضها مقفر ورأينا جوامع عظيمة متداعية الى الخراب وقصوراً قديمة لمماليك اكثرها مهجور . واجتزنا بوابة عظيمة فخمة متينة البنيان عالية الاسوار وهي احدى البوابات العظمى (لعلها باب الفتوح) . والمدينة منقسمة الى ثلاث وخمسين حارة كبيرة ولكل حارة شيخ وخفر وجنود وحرس وجميع سكانها من المسلمين عدا حارة النصارى (الاقباط) في الازبكية وحارة الاروام هناك . اما حارة الافرنج والسور بين والمالطيين فمن شمالي الموسكي كما تقدم القول . وسكان كل حارة من حارات المسلمين لا يختلطون بسكان الحارات الاخرى حتى ان الكلاب السائبة في كل حارة لا تتجاوز الى غيرها والاَّ لعرضت نفسها لعدوان الكلاب في الحارة الاخرى . وكانت تتبعنا في مسيرنا مكشرة عن انيابها علينا حتى ندخل الى حارة اخرى فتلتقينا كلابها . ولا تزال تضايقنا بنباحها حتى نخرج من ارضها وبعد مسيرة بضع ساعات وصلنا الى ضفة من ضفاف الخليج عند آخر المدينة وهناك بيوت حقيرة وغيطان وحدائق تتخللها اشجار النخل وتتعرش عليها دوالي العنب . وقهوات وطنية (لعلهُ وصل الى نواحي البكرية) وكانت كراسي تلك القهاوي ومقاعدها من الجريد وهي مصفوفة على ضفة الخليج والمياه العكرة تجري من تحتها والمدخنون في الشبقات والنرجيلات

البلدية المدعوة « الجوزة » جلوس تدار عليهم القهوة او نقيع الاثمار بطاسات من النحاس

فجلسنا في غيط بالقرب من الخليج واخذ المصور عدتهُ ونصبها و بدأ يصور على لوح منظراً بديعاً كان امامنا يمثل اشجار النخيل وفوقها قرص الشمس مائلاً الى المغيب · وفي وسطها جامع قديم فيهِ مأذنة مزخرفة فجلست بالقرب من صديقي واغتنمت الفرصة وكلمتهُ بما دار من الحديث بيني و بين شيخ الحارة وما عرضهُ عليَّ من امر الزواج ولما اتممت حديثي التفت اليَّ وقال

« لا تتزوج يادي نرفال ولا تتقيد بامرأة في هذه البلاد · ماذا يريدون منك يطلبون ان تسكن مع امرأة حسناً ما اسهل هذا الامر · هنا كثيرات منهنَّ فافعل كما فعلت انا · ففي الاسواق كثيرات من بائعات البرتقال والفاكهة وهنَّ جميلات يتهادين دلالاً بثوب طويل ازرق يجرّ الذيول ولهن معاصم مستديرة مطوقة باسورة فضية وارجل عارية حولها الخلاخل وصدور بارزة · وعلى رؤُوسهنَّ عصائب مطرزة مدلاة الاطراف وفي اعناقهنَّ قلائد الذهب · وهنَّ على هذه الهيئة كازيس ملكة الجمال او كفينوس في الاولمبوس ولا ينقصهن سوى ان يحملن في ايديهن عصا ذهبية · قلت انك تتكلم كمصور يصف الفنون الجميلة و يتغزل بجمال الطبيعة ولكن الا تعلم انهن محصنات ولهن بعول واهل فلا يمكن ان اسكن مع واحدة منهنَّ · وزد على ذلك انهُ ليس من شيمتي ولا من ادابي ان اساكن امرأة بصفة غير شرعية واهم من هذا اني اجهل اللغة العربية · فقال لي ساخراً الحق معك فاذهب وتزوج إن شئت »

و بعد حديث طويل تركت المصور وحولهُ جمع من العامة والغلمان يتفرجون عليهِ يحسبونهُ من السحرة او الافرنج كاشفي خبايا الكنوز · ثم توغلت وحدي في الاسواق ورجعت الى الاحياء الوطنية حتى وصلت الى سوق البازستان

— حادثة البازستان —

البازستان سوق او قيصرية على الطراز القديم بسقوف عالية ومسالك ضيقة تعرض فيها المصوغات والحلى وجميع المصنوعات الشرقية والاقمشة والطرف والتحف البديعة الواردة من جميع انحاء الشرق كالقسطنطينية و بروصة و بغداد ودمشق · وقد تخيلت وانا في هذا السوق كاني في اسواق بغداد الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة وخصوصاً في حكاية التاجر القبطي مع سلطان كشغر (يصف غالباً سوق الخليلي) · ورأيت هناك امرأتين محجبتين تساومان تاجراً على مشترى ثوب من الحرير من نوع الموصلين المطرز بالذهب من صنع بروصة فدفعني الفضول الى الوقوف بالقرب منهما وهما تقلبان طاقة القماش · وكانتا تنظران اليَّ

خلسة وتضحكان من هيئتي الغريبة ولباسي الافرنجي · والبائع يقول لهما « اسطنبولدن » اي من واردات اسطنبول · فاقتربت واخذت الثوب بيدي اقلبهُ واظهرت الاستحسان بقولي « طيّب » فكلمتي هذه اقنعت المرأتين على ما رأيت واتفقتا مع البائع على الثمن · فقطع لهما القماش وحملهُ خادمها الغلام فسار يتبعهما ثم التفتت احداهما نحوي وضحكت فحسبت ذلك اشارة بالوداع او بالاتباع وكانت ترفع نقابها من حين الى حين · فتبعتهما مسروراً وسارتا في في طرق مزدحمة ومنعطفات منفردة ومنعرجات غير نافذة حتى وصلتا الى بوابة كبيرة تحت اقبية شاهقة مشيدة الاركان على جانبيها آثار شامخة جوامع البنيان (ربما يصف بوابة المتولي) · ثم دخلتا في طريق ضيقة وخرجنا الى شارع على جانبهِ جامع مزخرف الى ان وصلنا الى باب دار كبيرة داخلها عرصة واسعة فدخلت فيهِ المرأتان وخادمهما · فدخلت على اثرهما ورأيت حوشاً كبيراً حولهُ المقاعد وفي صدرهِ ايوان باعمدة · واذا انا وحدي في تلك العَرَصة ولا اعلم اين اختفت المرأتان فرفعت نظري ورأيت جدراناً عالية تخترقها بعض النوافذ الموصدة بمشربيات بارزة

فاعترتني الهواجس وهممت بالخروج من هذه الدار الخفية وحينئذٍ فتح باب صغير وظهر امامي رجل سوداني طويل القامة كالمارد فاوجست خيفةً منهُ وصرت اومئ اليهِ باني ضللت الطريق ودخلت الى الدار خطاء ورأيت ان كلمة « طيب » التي لا اعرف سواها لا تكفي لاقناع هذا الاسود بتبرئتي · وحينئذٍ سمعت صوت ضوضاء وفتحت بعض الابواب وخرج منها خدم واعوان وسيَّاس وآغوات والتفوا حولي فايقنت بالهلاك · ثم اقبل من باب الحريم رجل ابيض اللون عليهِ سيماء الوجاهة والخيلاء يلبس ثوباً فاخراً على الطرز التركي فادركت انهُ صاحب الدار وعلمت ان المرأتين اوقعتاني في شرك الردى وان اباهما هذا او بعلهما يريد الايقاع بي لانتهاكي حرمة بيتهِ فلم يعد في وسعي الاَّ تبرئة نفسي بكلام ممزوج بكل اللغات التي اعرفها كالفرنسوية والايطالية والالمانية والانكليزية واليونانية تمازجها احياناً كلمة « طيّب » لعل صاحبنا يفهم لغةً منها فيعلم ما بضميري · وكنت اشفع دفاعي باشارات وحركات بيدي ورأسي كما يفعل المتهم امام القاضي مبرئاً نفسهُ

وكان الرجل يصغي الى كلامي متبسماً فهدأ روعي وقال لي بالفرنسوية الفصحى على دهشةٍ مني « تفضل يا مسيو وادخل معي فعندنا سعة من الوقت للتكلم بصراحة »

ثم اخذ بيدي بلطفٍ وقادني الى بهو واسع منقوش الجدران برسوم زاهية وفيهِ رياش فاخرة تطل نوافذهُ على حديقةٍ غناء · فجلسنا معاً على مقعد حريري وقدمت لنا القهوة

والشبقات . فذكرت لهُ حينئذٍ بصراحة اسمي ولقبي وقصدي من التوغل وحدي في الازقة والشوارع الوطنية للاختلاط بالقوم ودرس اخلاقهم ومعيشتهم في داخل بيوتهم. وان الفضول دفعني للدخول الى بيتهِ لما رأيت من سعة عرصتهِ وزخرفة مدخلهِ . وادركت من ابتساماتهِ المكرية انهُ لم يعر كلامي تصديقاً وتأكدت ان المرأتين اعلمتاهُ باني كنت اتبعهما . ومع كل ذلك بدأ يتودد اليَّ وسألني عن الاخبار الاوربية واخيراً علمت انهُ فرنسوي مثلي فتصور عظم دهشي . وبعد حديث طويل دعاني للغداء عندهُ بين اسرتهِ ولم يرَ نكراً في ذلك فاصعدني الى منزل حرمهِ وهناك عرفني بالمرأتين اللتين اتبعتهما من سوق « البازستان » فالواحدة كانت زوجتهُ وهي اوربية مثلهُ والاخرى اختها فصافحتاني باليد على الطريقة الافرنجية . واطرقت برأسي حياءً وخجلاً منهما ثم رأيتهما تبتسمان من موقفي هذا الحرج . وبعد هنيهة ارتفعت الكلفة بيننا وكانتا تكلمانني بالفرنسوية الفصحى ولامتني الكبرى لجولاني وحدي بلا ترجمان في الاحياء الوطنية وقالت لي بصراحةٍ لو اتبعت امرأة وجيهة غيري ودخلت الى بيت غير بيتنا لاوقعت نفسك في خطر عظيم

ثم جلسنا على المائدة ودار الحديث بيننا عن شؤُون مختلفة وكانت قاعة الحريم واسعة عالية السقوف مزخرفة مفروشة بالريش الفاخر وعلى جوانبها مقاعد من الحرير وفي وسطها فسقية صغيرة من المرمر على حافتها اسد من نحاس يجري الماء من فيهِ . وعلى جدران القاعة رفوف عليها آنية الصيني والخزف وغيرها من المصنوعات الشرقية الثمينة . وعلى الاربعة الجدران اربع مرايا كبيرة وفي وسطها طاولة حولها سبع فتيات جالسات يشتغلن في التخريم والتطريز وسن هؤُلاء البنات بين العشر والعشرين . فنهضن حين دخولي وتقدمت الصغرى وقبلت يدي وكن لابسات الاثواب المختلفة الالوان على الزي الشرقي . والامر الذي ادهشني كثيراً اختلاف الوانهن وهيآتهنَّ بين بيضاء وسمراء وحبشية ونوبية ومع ذلك فآثار الجمال بادية على وجوههن رغماً من اختلاف اجناسهن . وكانت صاحبة الدار واختها تضحكان من دهشي والحقيقة ان هذا المنظر لمن الغرابة والدهشة بمكان ! هل هؤُلاء النساء الحسان سراري الرجل ام جوار بهِ ام بناتهُ ؟ . ثم تقدمت احداهن وقدمت لنا الشبقات والقهوة بعد الاكل

وقد علمت اثناء الحديث ان هؤُلاء الفتيات هن بناتهُ من زوجات مختلفات الجنس . فماذا يريد الرجل من عرضهن امامي ؟ علمت من كلامهِ ومغامز زوجتهِ انهما يعرضان عليَّ ان انتخب من بينهن زوجة لي . عجباً هل اتيت الى مصر لأتقيد بالزواج بفتاة فرنسوية شرقية ؟

فمضيفي هذا فرنسوي الجنس وكان ضابطاً في الحملة الفرنسوية فلما رجعت الحملة الى فرنسا لبث في مصر وتزوج على الطريقة الشرقية بعد ان انتحل الاسلام وعرض خدمتهُ على محمد علي باشا حاكم مصر فقبلهُ كما قبل غيرهُ من الضباط والاطباء والمهندسين الفرنسويين وجعلهُ قائداً لفرقة من الجنود كان كثيرون منهم قد اختاروا مصر وطناً لهم واسلموا باختيارهم وتقيدوا بشرائع البلاد وعاداتها وتخلقوا باداب القوم وتزيوا بلبسهم وتزوجوا منهم. واكثرهم ولدوا ونشأوا ابان الثورة الفرنسوية الكبرى فلم يكن للدين عندهم اهمية كبيرة فاشربوا مبادئ الاباحة والحرية والمساواة حتى في الدين وجلهم دخلوا في الالواج الماسونية ولما حضروا الى مصر لم يستصعبوا اتخاذ دين يجعلهم من ارباب السلطة والنفوذ وينيلهم وجاهة وهناء. وقد اخلصوا الخدمة للبلاد التي اتخذوها وطناً جديداً لهم ولذريتهم وكانوا عضداً لحاكم مصر في ترقية البلاد وحضارتها ماديًّا وادبيًّا

فصاحبنا هذا « سليمان بك » نال حظوة كبيرة لدى محمد علي باشا لنشاطهِ وصدق خدمتهِ وامانتهِ فانعم عليهِ برتبة بك وهي رتبة عالية تعادل رتبة كونت عندنا لا تعطى الاَّ للوزراء وانجال الحاكم . فاثرى وسكن القصور واقتنى العبيد والجواري وتزوج بكثيرات من النساء حسب السنة وفي قصرهِ كثيرات من النساء والجواري الحسان التركيات والمصريات والسناريات والحبشيات . وكان من قواد الحملة التي ارسلها محمد علي باشا لتخليص المدن المقدسة في الحجاز من ايدي الوهابيين الخوارج تحت قيادة نجلهِ طوسون بك

ولما صار الرجل كهلاً ذكر وطنهُ القديم واختلج في فؤادهِ الحنين الى فرنسا فتزوج بابنة قنصل فرنسا في مصر وكان ابوها قد توفي على اثر مرض واقامت اختها عندها فاشترطت عليهِ ان يهجر نساءهُ المصريات والحبشيات فطلقهن وكتب كتابهُ على هذه الفرنسوية حسب الشريعة الاسلامية ولكنهُ اشترط عليها مقابل ذلك ان تتخلق بآداب القوم وعاداتهم ولا تظهر لاجنبي ولا تخرج من بيتها الاَّ محجبة . وكان لهُ من نسائهِ الاول اربعة اولاد ذكور وسبع بنات فادخل البنين في المدرسة الحربية التي كان استاذاً فيها اما البنات فهنَّ اللواتي وصفتهنَّ . واما ابنة القنصل الاخرى فلم تشأ ان ترجع الى فرنسا وفضلت السكنى مع شقيقتها املاً ان تجد عريساً شرقيًّا من القواد والوزراء

وعند المساء ودعت مضيفي سليمان بك وزوجتهُ وشكرتهما على احتفائهما بي ووعدتهما بزيارة اخرى ولكنني لم اقِ بوعدي خوفاً من ان تؤَوَّل تلك الزيارة بقبول ما عرضا عليَّ

وفي الصباح حضر ترجماني عبد الله وطلب مني ان اقيلهُ من الخدمة لانهُ سيصحب

سائحاً انكليزيًّا الى الصعيد فلم اشأ ان احرمهُ تلك الفائدة وظهر لي انهُ واجد عليَّ لاني تركتهُ وذهبت وحدي في شوارع القاهرة . وعندهُ ان سائحاً مثلي يسير وحدهُ في ازقة البلد وحواريها لهو سائح صعلوك « مفلس » وعرض لخدمتي بربريًّا من اصدقائهِ عوضاً عنهُ مدة اقامتي في مصر فقبلت ورأيت هذا البربري واسمهُ ابرهيم صالحاً للخدمة يفهم بعض كلمات ايطالية ومالطية

وفي المقالة التالية خبر ما جرى لهذا السائح بين الاسر القبطية ديمتري نقولا

باب الزراعة

تثبيت النتروجين الجوي (١)

يحدث النقص في النتروجين الذي هو اهم عناصر التغذية النباتية بانفصالهِ من التربة بعضهِ او كلهِ وتصاعدهِ الى الجو كغاز إثر عمليات التعفن والانحلال وعكس النترجة التي تحدث في التربة على الدوام . كان من اللازم ان يسد هذا النقص بعمليات اخرى تعيد بالتركيب ما تحدثهُ الاولى بالتحليل فيجمع بسببها عنصر النتروجين الجوي ثانية ويثبت في التربة على صور مركبات نتروجينية فكأن الطبيعة تحول دون توالى النقص في اهم العناصر للتغذية النباتية دفعا لما يترتب على ذلك من الخسائر الفادحة

من عمليات التركيب المذكورة ما يحدث في الجو ومنها ما يحدث في التربة نفسها وليس من غرضنا ان نتكلم على العمليات الجوية لانها ليست بكتريولوجية وانما يكفي ان نعرف عنها اجمالاً انها تتم بتأثير عوامل طبيعية تحدثها كهربائية الجو ففي وقت لمعان البرق يتحد النتروجين بالاكسجين في الجو بنسبة قليلة جدًّا فينشأ عن اتحادها اكسيد النتروجين التي يتكون منها الحامض النتروس والحامض النتريك عند اتحادها بمياه الامطار

ليست مقادير النتروجين التي تصل الى التربة من الجو ذائبة في مياه الامطار كافية لتغذي النباتات بنتروجين الهواء وليست كذلك كافية لسد ما وقع في التربة من نقص النتروجين لذلك امكن العلماء تحقيق مسألة مهمة وهي هل يمكن تثبيت النتروجين في التربة

---

(١) Fixation of atmospheric Nitrogen

من غير طريق العوامل الطبيعية . وكان اول المرشدين لهذا الطريق العلامة برتلو فانهُ في سنة ١٨٨٥ اثبت بما اجراهُ من التجارب ان التربة المعرضة للهواء المتروكة بلا زرع تزداد فيها كمية المركبات النتروجينية . فمثلاً وجد ان ٥٠ كيلو جراماً من التربة المعرضة للهواء والمتروكة بلا زرع بعد مضي سبعة شهور عليها تزداد كمية النتروجين فيها بمقدار ١٢,٣٨ جراماً وقدر ان كمية النتروجين التي اضيفت لهذا القدر من التربة مع مياه المطر خلال المدة المذكورة كانت اقل من نصف جرام فقط . وقد اثبت بعد ذلك في تجارب اخرى ان بعض المركبات الآلية كالتي توجد في التربة عادة لها قدرة على امتصاص النتروجين المطلق بتفريغ الكهربائية فاراد ان ينسب زيادة كمية النتروجين المشاهدة في تجاربهِ الاولى الى ذلك ولكن نظراً الى نهضة العلماء يومئذٍ في فرنسا لدراسة المكروبات بزعامة العلامة باستور رأى برتلو ان ينبذ هذا الرأي اذ ربما كان للمكروبات دخل في الامر فشرع في البحث واخذ كميات من اراضٍ رملية وطينية مختلفة كانت لا تشتمل على اكثر من ٠,١ نتروجين في المائة جرام من التربة وعقم كميات منها بتعريضها للبخار المحمي لدرجة ١٢٠ سنتغراد وترك كميات اخرى كالاولى غير معقمة ثم وضع الكميات الاولى والثانية على حدة معرضة للهواء في زجاجة كبيرة مقفلة وتركها هكذا لمدة خمسة شهور ولما اختبرها بعد ذلك وجد زيادة محسوسة من النتروجين في الكميات غير المعقمة ولم يجدها كذلك في الكميات المعقمة فلم يبقَ هناك شك في ان زيادة النتروجين في الكميات غير المعقمة كانت نتيجة فعل المكروبات وانها ليست ناشئة عن اي عامل طبيعي خارجي اذ لو كانت كذلك لوجب ان تكون هناك زيادة في الحالتين . ثم حاول ان يفصل المكروبات التي تسبب ذلك فلم ينجح على ان هذا لم ينقص من فضلهِ لان ما وصل اليهِ كان بمثابة حجر اساسي لسلسلة ابحاث واكتشافات عظيمة في هذا الموضوع قام بها العلماء الكثيرون امثال ڤينوجرادسكي وهلريجل وولفورث وليس بين هؤلاء العلماء من تفوق على ڤينوجرادسكي في ذكائهِ وقوة ابتكارهِ وحلهِ للمسائل العويصة باسهل الطرق . وهاك مثالاً لتجارب اجراها وتوصل بها الى نتائج عظيمة . فقد لقح محلولاً [1] مشتملاً على جميع مواد التغذية للمكروبات عدا مركبات النتروجين بقليل من التربة المشتملة على المكروبات وكان غرضه من عدم اضافة مركبات النتروجين الى المحلول مساعدة المكروبات

(١) كان المحلول المذكور مركباً من ٢-٤ في المائة دكستروز و ٠,٠٥ في المائة كبريتات مغنيسيوم و ٠,١ في المائة فصفات البوتاسيوم الثاني وقليل من كلوريد الصوديوم وكبريتات الحديدوس وكبريتات المنغنيس والطباشير المرسب مذابة في الماء

التي في استطاعتها تثبيت النتروجين الجوي في النمو والتكاثر ولكي يحول في الوقت نفسهُ دون نمو المكروبات الاخرى التي لا تعمل ذلك وهذه طريقة سهلة وحسنة جدًّا تعرف بالطريقة الانتخابية [1] لانها مؤسسة على جعل الظروف ملائمة بقدر الامكان لطائفة من المكروبات دون اخرى وهي مأثورة عن هذا العلامة ولا تزال مستخدمة في حل كثير من مسائل بكتريولوجيا التربة

وبعد ان ترك المحلول معرضاً للهواء وجد ان النتروجين قد ثبت فيهِ وانهُ قد حدث انحلال في الدكستروز نشأ عنهُ تصاعد ثاني اكسيد الكربون والهيدروجين وكذلك تكون الحامض السمنيك والحامض الخليك بنسبة ثلاث دقائق من الاول الى دقيقة واحدة من الثاني وان الحامضين المذكورين قد تكونا من نصف كمية السكر المنحل تقريباً . ولم تنشأ حوامض متطايرة ووجد قليلاً من الكحول وان هناك علاقة واضحة بين كمية النتروجين المثبت وكمية السكر المنحل وهي ان كل مليجرام من النتروجين قد احتاج في تثبيتهِ الى اكسدة ٥٠٠ مليجرام من السكر . وقد ظن ڤينوجرادسكي ان تثبيت النتروجين في المحلول ينسب لوجود ثلاثة مكروبات فحاول فصلها منهُ بطريقة التربية في بيئات متتالية [2] فلم يتمكن نظراً لعدم توفر الشروط الملائمة لحياة هذه المكروبات جميعها من استخدام هذه الطريقة . ثم عاد ڤينوجرادسكي في سنة ١٨٩٥ فظن ان وجود الهواء ربما كان عائقاً فيما حاولهُ من فصل المكروبات المذكورة فاستخدم طريقة منع فيها الهواء واعطى المكروبات كفايتها من غاز النتروجين وبهذه الكيفية تمكن من فصل احد اجناسها ورباهُ نقيًّا عن الاجناس الاخرى. وقد ساعدهُ في ذلك ان المكروب كان من المكروبات اللاهوائية فعاش بينما كانت الاجناس الاخرى هوائية فوقفت حياتها بفقد الهواء

وبعد ان تمكن ڤينوجرادسكي من فصل هذا المكروب وسماهُ كلوستريديوم باستوريانم [3] قام بالتجارب عليهِ لدراسة عملهِ وقرر ان الكلوستريديوم باستوريانم من المكروبات اللاهوائية حتماً وفي استطاعتهِ تمثيل النتروجين وتثبيتهُ في البيئات الخالية من مركباتهِ مع عدم وجود الاكسجين المطلق وقرر بعد ذلك ان في قدرة هذا المكروب تثبيت النتروجين كذلك في بيئة يتخللها الهواء بشرط ان يوجد معهُ بعض انواع المكروبات الهوائية لان هذه الانواع تزيل الاكسجين المطلق من البيئة فتجعل الظروف صالحة لنموهِ

(1) Elective method (2) Successive media (3) Clostridium Pasteurianum

ان مكروب كلوستر يديوم باستور يانم يعتبر الآن تابعاً لطائفة مكروبات الحامض السمنيك لما بين الفريقين من اوجه الشبه الكثيرة من حيث الشكل والعمل وهو شائع جداً في التربة وفي اراضي البرك والانهار وغيرها من الامكنة التي توجد فيها مواد آلية منحلة وبكون الهواء فيها قليلاً وقد اثبتت التجارب انهُ يستمد قوته اللازمة لتثبيت النتروجين من الدكستروز وان في قدرتهِ كذلك استمدادها من اللڤيلوز والسكروز والجلكتوز وغيرها من انواع السكر المختلفة ولكن لا يعرف تماماً من اي المواد يستمدها في التربة فقد قيل انهُ يستمدها من بقايا النباتات المنحلة فيها وقيل انهُ يستمدها من المواد الكربوهيدراتية التي تصنعها طوائف من الالجي الصغيرة الخضراء التي توجد عادة في التربة وربما كان هذا ارجح القولين على ما سيأتي بعد . وليس بينهُ وبين طائفة مكروبات الحامض السمنيك فروق على ما اثبتهُ ڤينوجرادسكي الاَّ في انهُ لا يحدث اختماراً في اللكتوز ولكتات الكلسيوم والنشا والمنيت(١) ولا يكون كحول البيوتيل وفروق اخرى قليلة . وهو معدود كذلك من المكروبات عديمة الحركة او قليلتها عصوى الشكل في اول حياتهِ يتراوح طولهُ بين ٠,٥ ‑ ٢ ميكرون وسمكهِ بين ٠,٤ ‑ ١,٣ ميكرون يتلون بالصفرة اذا صبغ بمحلول اليود ولكنهُ عند كبرهِ يأخذ شكلاً بيضياً وتتكون فيه مادة الجرانيولوز النشوية فيتلون بالزرقة اذا صبغ بمحلول اليود . وتتكون لهُ جراثيم عند كمال نموهِ فتنشأ جرثومة واحدة في احد طرفيهِ ولا تلبث طويلاً حتى تظهر في وسط الخلية فتسبب انتفاخها وبذلك يتحول شكلهُ الى شكل بيضي . وجراثيمهُ الناضجة يبلغ طولها ١,٦ ميكرون وعرضها ١,٣ ميكرون وتنبت بسهولة اذا وضعت في محلول من السكر وكان الهواء معدوماً . واذا زرعت على البطاطس في بيئة مفرغ منها الهواء نشأ عنها مجموعات مستديرة يبلغ طول قطرها مليمتر لونها اصفر قاتم ولها رائحة الجبن

وتمكن ڤينوجرادسكي من فصل انواع اخرى من الكلوستريديوم منها ما عثر عليهِ في اراضي باريس وجنوب روسيا ووجد ان احدها اسمك من السابق اذ يتراوح سمكهُ بين ١,٦ ‑ ١,٨ ميكرون وجراثيمهُ تختلف عن جراثيم الاول اذ طولها يبلغ ١,٩ ميكرون وعرضها ١,٥ ميكرون ولها قدرة على تثبيت النتروجين ولكن للصعوبة التي لاقاها في فصلها لم يتتبع درسها

(١) Mannite

وقد فصل فرويدنريخ(١) من اراضي سويسرا كلوستريديوماً آخر يشبه ما فصلهُ ڤينوجرادسكي اولاً ولا يفترق عنهُ الاَّ في انهُ يحدث اختماراً في المنيت · وفصل پرنجشيم(٢) مكروباً آخر من اراضي امريكا اطلق عليهِ اسم كلوستريديوم امريكانم(٣) وهو من الانواع المتحركة التي تثبت النتروجين ايضاً ولهُ صفات خاصة بهِ · وفصل بنيك(٤) وكويتنر(٥) مكروباً آخر من جنس الكلوستريديوم كبير اطلق عليهِ اسم كلوستريديوم جايجانتيم(٦) ولكن قدرتهُ على تثبيت النتروجين لم تحقق وغاية ما عرف عنهُ انهُ مدبب من طرفيهِ ويكون جرثومتين احياناً · وجراثيمهُ كبيرة جدًّا يبلغ طولها ٢٫٥ ميكرون وعرضها ١٫٥ ميكرون · وهناك اجناس اخرى من المكروبات تثبت النتروجين في التربة بتأثير اقوى اكتشفها العلماء حديثاً وكان للعالم بيرنك فضل في اكتشافها · وسيأتي الكلام عليها فيما بعد

محمود مصطفى الدمياطي

مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

مبادىء خصب المزروعات

(من خطبة للدكتور رسل تلاها في الجمعية الكيماوية ببلاد الانكليز في شهر نوفمبر الماضي)

اذا اردنا الكلام على مبادىء خصب المزروعات وجب ان نرجع الى سنة ١٨٤٠ فانهُ في تلك السنة عُرف ان النبات مؤلَّف من مواد آليَّة يخالطها قليل من المواد المعدنية مثل الفصفور والكلسيوم والبوتاسيوم والصوديوم الاَّ ان هذه المواد المعدنية لم يحسب لها شأن كبير حينئذٍ · فان الفلاحين كانوا يعلمون فائدة الزبل (السباخ البلدي) في خصب المزروعات وهو مادة آليَّة والنبات ايضاً مادة آليَّة فلا عجب اذا قال الكيماويون والفسيولوجيون النباتيون بعلاقة سببية بين هذا السماد وخصب النبات وان الغرض من التسميد هو تقديم الغذاء للمزروعات

الاَّ ان ليبغ قال سنة ١٨٤٠ ان فائدة السماد ليست تقديم المواد الآلية الى النبات بل

---

(١) Freudenreich (٢) Pringsheim (٣) Clostridium Americanum

(٤) Benecke (٥) Keutner (٦) Clostridium giganteum

ش ١

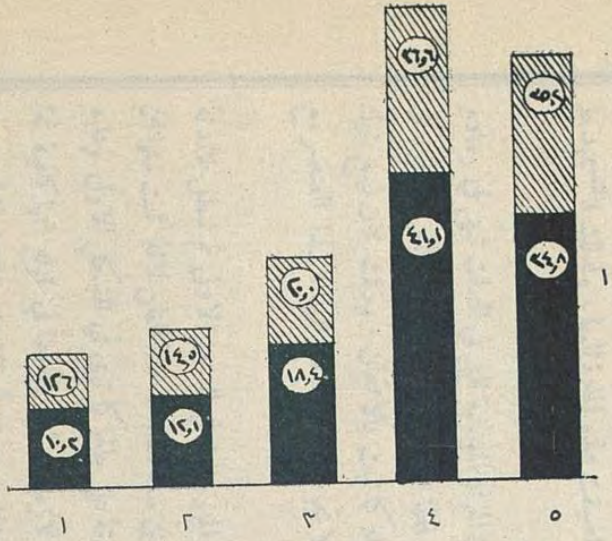

(١) محصول فدان من غير سماد (٢) محصول مسمد بسماد بلا نترات (٣) محصول مسمد بالنترات (٤) مسمد بالنترات والفصفات (٥) مسمد بسماد المواشي · والجزء الاسود من كلٍّ واحد يدلُّ على محصول الفدان من التبن بالارطال والجزء المخطط يدلُّ على محصوله من القمح بالابشال · فمحصول القمح من الاول ١٢ بشلاً وستة اعشار ومن الثاني ١٤ بشلاً ونصف بشل ومن الثالث ٢٠ بشلاً ومن الرابع ٢٦ بشلاً وستة اعشار ومن الخامس ٢٥ بشلاً وعشران والبشل نحو كيلتين · والتبن من الفدان الاول عشرة ارطال وثلاثة اعشار ومن الثاني ١٢ رطلاً وعشر رطل ومن الثالث ١٨ رطلاً واربعة اعشار الخ

ش ٢

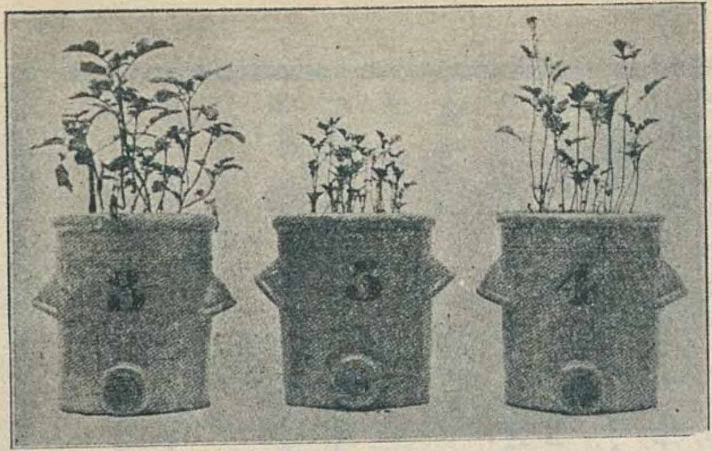

في التراب في الرمل في التربة

ش ٣

تقديم المواد المعدنية التي اغفى عنها الكيماو يون وانهُ يجب ان نعرف ما هي المواد المعدنية التي في النبات ثم نسمدهُ بها على صورة تسهل عليهِ امتصاصها. وانهُ اذا فقدت الارض مادة من هذه المواد اجدبت ولا تجود ثانية الاَّ اذا اضيفت هذه المادة اليها . ولذلك فالتسميد علم ويجب ان يجري على طرق علمية

ولكن ما اشار بهِ ليبغ نظريًا لم يفد عمليًّا لان المواد المعدنية التي في النبات تبقى في رمادهِ اذا حُرق واذا اضيف هذا الرماد الى الارض فقلما تجود المزروعات فيها اكثر ممَّا تجود في ارض مثلها ولم يُضف اليها شيء من ذلك الرماد كما ثبت بالامتحان . وذلك لان ليبغ ترك عنصراً مهماً وهو النتروجين فان المزروعات لا تجود اذا لم يضف اليها هـذا العنصر مع غيرهِ من العناصر

وقد ظن البعض ان السماد الصناعي يفيد المزروعات في السنين الاولى ثم تبطل فائدتهُ ولكن التجارب التي جرت في رثامستد مدة ستين سنة افسدت هذا الظن لانهُ ثبت منها ان التسميد تكرَّر اكثر من ستين سنة فبقيت فائدتهُ على حالها كما ترى في الشكل الاول وعليهِ فقد اصاب ليبغ في قولهِ ان المواد المعدنية لازمة للنبات واخطأ في قولهِ انها كافية لهُ ويمكننا الحكم بان المزروعات تنمو وتجود دواماً اذا وَجدَت في الارض المقدار المناسب من كل ما يحتاج اليهِ من مركبات النيتروجين والفصفور والبوتاسيوم . وهذا هو المبدأ الاول من مبادىء خصب المزروعات ولكن اذا اريد العمل بهِ ظهرت الصعوبة في معرفة المقدار المناسب بحرق النبات وتحليل ما فيهِ من الرماد لكن لوز وغلبرت ابانا ان ذلك غير صحيح فرماد اللفت كثير البوتاسا قليل الفصفات فبحسب حكم ليبغ يحتاج الى سماد البوتاسا لكن لوز وغلبرت ابانا انهُ يحتاج الى الفصفات لا الى البوتاسا واستنتجا ان ما يحتاج اليهِ النبات من السماد انما يعرَف بالتجارب . وقد اوضح فِل ذلك بخطب متوالية بين سنة ١٨٦٠ و١٨٧٠ وقال ان التجارب الكثيرة اثبتت ان السماد النتروجيني هو السماد اللازم للحبوب والبنجر . والسماد البوتاسي هو السماد اللازم للبطاطس والكرم . وفصفات الصودا هو السماد اللازم لقصب السكر . وان الكتان لا يحتاج الى سماد خاص

وزرع فِل نوعًا واحداً من النبات في قصاري عديدة سمَّد بعضها بالسماد الكامل (اي الذي فيهِ نتروجين و بوتاسا وفصفور وجير) و بعضها بسماد ينقصهُ هذا النوع او ذاك من المواد فلما كان النبات قمحاً كانت النتيجة هكذا

حينما كان السماد كاملاً بلغت غلة الفدان ٤٣ بشلاً

" " " ينقصهُ الجير " " " ٤١ "

" " " البوتاسا " " " ٣١ "

" " " الفصفات " " " ٢٦ ١/٢ "

" " " النيتروجين " " " ١٤ "

حينما لم تسمّد الارض مطلقاً " " ١٢ "

والبشل نحو كيلتين

وطريقتهُ صحيحة لا غبار عليها وقد شاع استعمالها ولكنها غير مبنيَّة على قاعدة علميَّة . والاعمال التي لا تبنى على القواعد بل على التجارب لا يمكن التوسُّع فيها والبناء عليها فوقف البحث في طبائع التربة وخصب النبات مدة طويلة بعد ذلك

غير انهُ حدث مراراً في علم الكيمياء الزراعية ان عرضت مسألة خارجة عن البحث الذي غمض وقلَّت الرغبة فيهِ لجلتهُ وانهضت الهمم لاعادة البحث والتنقيب وهذا ما حدث في هذا الموضع فان اتساع المدن وازدحامها بالسكان دعا الى البحث عن طرق لنزح مرتفقاتها وتطهيرها فاكتشف شلوزنج ومنتز ان تطهير المبرزات يتم بتحويل ما فيها من الامونيا الى نترات وان هذا التحويل لا يتم بواسطة كيماوية ولا بواسطة طبيعية بل بواسطة المكروبات وللحال امكن تطبيق هذا الاكتشاف على ما يحدث في التربة فاتضح حينئذٍ ان التراب ليس جماداً صرْفاً خالياً من الاحياء بل هو مملوءٌ بها وهي غير ساكنة ولا خامدة بل تعمل دواماً وعددها كثير يفوق الاحصاء ففي كل غرام من التراب ملايين منها وهي تغتذي وتعمل . فكيف تغتذي وما هو عملها

ان الناظر الى التربة الزراعية يرى انها طبقة رقيقة وتحتها تراب قلما تصل اليهِ جذور المزروعات وهو يختلف عن التربة في لونهِ وقوامهِ ولاسيما في نمو المزروعات فيهِ كما ترى في الشكل الثاني لكن هذا الاختلاف بين التربة والتراب الذي تحتها عارض فان التربة كانت اصلاً من نوع التراب الذي تحتها واذا زُرعت بزور النبات في التراب لم تجد فيهِ كثيراً من الغذاء فتأخذ منهُ بعض العناصر وتأخذ اكسيد الكربون من الهواء وتركب من عناصره وعناصر الهواء انواع السكر والنشا والسلولوس والبروتين وما شاكل مستمدة القوة لذلك من نور الشمس . وحينما تيبس تردُّ الى التراب كل المواد التي اخذتها منهُ وترد فوقها ما اخذتهُ

من الهواء فيتغير ويصير تربة وهذه المواد الجديد التي تضاف الى التراب تكون خزانة من القوة والغذاء اللازم للكروبات الارضية فتنمو وتتكاثر وتحلل مواد التراب وتركب منها مركبات جديدة وتجعلها اصلح لنمو النبات

هذا ما عرف من امر هذه المكروبات بنوع عام وهو مهم جدًّا ولو لم نعرف تفاصيله . فان المركبات الجديدة لازمة لنمو النبات اشد اللزوم . وخصب المزروعات يتوقف على فعل هذه المكروبات ولذلك يلزم ان يجري فعلها بسرعة وبغير عائق والاَّ زال خصب الارض . فلا بدَّ للخصب من ثلاثة امور وهي اولاً ان يكون الهواء والماء والحرارة في حالة مناسبة . وثانياً ان تكون المكروبات من النوع الصالح لخصب المزروعات . وثالثاً ان تكون المواد الاصلية اي بقايا النبات كافية دائماً

اما الهواء والماء والحرارة فسيأتي الكلام عليها واما المكروبات فغاية ما تمَّ في امرها حتى الآن الشروع في تطعيم الارض بالنافع منها وتعقيمها من الضار. والمواد الاصلية التي تغتذي بها المزروعات تبقى في التربة من نمو النبات وانحلاله فيها . فاقدم الطرق لبقاء هذه المواد كافيةً هو تحريل الارض اي تركها من غير زراعة حتى تنمو فيها الاعشاب البرية من نفسها ثم تحرث والاعشاب فيها . وهذه الطريقة غير مضمونة وخير منها زرع الارض صنفاً من النبات ثم قلبها والزرع فيها كلهُ او بعضهُ او جعل المواشي ترعاهُ وتلقي زبلها في الارض ثم تحرث الارض والزبل فيها

فالمبدأ الثاني من مبادئ خصب المزروعات هو ان تنحل مواد التربة حلاً كيماويا بفعل الاحياء بسرعة وبغير عائق

ولكن العمل بهذا المبدإ كثير الصعوبة ايضاً لان الحل قد يتولد منهُ نترات وقد يتولد منهُ نتروجين فاذا تولَّد منهُ نترات فهو صالح لنمو النبات واذا تولَّد منهُ نتروجين فهو غير صالح . ويحدث هذا الثاني اذا كان الحل سريعاً . وتختلف نتائج افعال المكروبات باختلاف طبيعة الارض وتركيبها فالارض الجيرية تعدِل الحوامض والارض الطينيَّة فيها مادة غروية تؤثر فيما يتولد فيها من المركبات الكيماوية . والنبات نفسهُ كثير الفعل بجذورهِ تمتص النترات والفصفات ونحوها ولكن لا يزيد بها عمل المكروبات بل يبطئهُ فيكون تولد النترات في الارض غير المزروعة اكثر من تولدها في الارض المزروعة

ولا يعلم حتى الآن هل يؤثر النبات في نوع هذا التغير او في مقدارهِ . والامر

الجوهري ان لكل من النبات والتربة يداً في تنويع المواد اللازمة للخصب فان النبات جسم حيٌّ يفعل بالتربة و ينفعل بها . وقد كان المظنون منذ اربعين سنة ان خصب المزروعات يتوقف على السماد لاغير ولكن ظهر من مباحث هوتني في التبغ الاميركي ان لنوع التربة فعلاً كبيراً في المحصول وظهر ان الغذاء لا يكفي وحده للنبات بل لا بدَّ له من الماء الكافي والهواء الكافي والحرارة الكافية . والقاعدة التي تتناول هذه الاشياء كلها هي ان خصب النبات يزيد بزيادة كل واحد من هذه الفواعل ما دامت الفواعل الاخرى موجودة بالمقدار الكافي واذا نقص واحد منها بطل الخصب واذا زاد لم يزد الخصب . وهناك حدٌّ للزيادة فاذا فاقت الزيادة هذا الحد اضرَّت بدلاً من ان تنفع اما بحصول الضرر منها مباشرةً وإما بتوقيفها فعل مادة اخرى ضرورية . وقد ظهر ذلك بتجربة جُرّبت في زراعة الطماطم كما ترى في الشكل الثالث حيث سمد الطماطم بنترات الصودا وزيد مقدار السماد رويداً رويداً في اصص مختلفة . فالمثال الاول لم يسمد . والثاني سُمد بمقدار قليل . والثالث سمد بمقدار اكثر منهُ . والرابع سمد بمقدار اكثر من المقدار الذي سمد بهِ الثالث . والخامس سمد بمقدار اكثر من المقدار الذي سمد بهِ الرابع . فترى ان نمو النبات زاد اولاً بالسماد في الاصيص الثاني ثم زاد بزيادة السماد في الثالث والرابع ثم نقص بزيادتهِ في الخامس وهذا هو المبدأ الثالث من مبادئ خصب النبات

فاذا توقف خصب المزروعات وأُريد معرفة سبب ذلك وجب البحث عمَّا يوقف الخصب وعن السبيل الذي يزول بهِ والغالب ان يكون موقِف الخصب واحداً من اربعة وقد ذكرت في الجدول التالي معما يداوى بهِ كلٌّ منها

موقِّف الخصب	بماذا يداوى
الرطوبة	الصرف . اضافة الجير
الجفاف	الري . العزق . السماد الآلي المناسب
قلة الحرارة	الصرف والعزق
الحموضة	اضافة الجير او الحوَّارى

ستأتي البقية

دود بزر القطن

لا مشاحة في ان دود بزر القطن كان الضربة الكبرى على الموسم الماضي ولاسيما في الاطيان الجيدة التي يبلغ محصول الفدان منها عادةً خمسة قناطير فاكثر الى عشرة فان الدود وقع في اكثر اللوز فاتلفهُ . نعرف اطياناً كنا نقدر محصول الفدان منهما ثمانية قناطير الى عشرة فلم يجنَ منهُ ثلاثة قناطير

ومن رأي وزارة الزراعة ان لا يجنى من القطن في الموسم التالي الاَّ الجنية الاولى والثانية واما اللوز المتأخر الذي تجنى منهُ الجنية الثالثة فيجب قطفهُ وهو اخضر واعدامهُ لان اكثر الدود يكون فيهِ . وفي نيتها ان تصدر قانوناً بهذا الصدد فعسى ان يساعدها كل زارعي القطن على ابادة هذا الدود بقطف اللوز الاخضر الذي يظهر فيهِ اقل اثر منهُ وحرقهِ او اطعامهِ للغنم

معاونو الزراعة والمدرسة الزراعية

اقترحنا على الحكومة ان تهتم بامر الزراعة كما تهتم بامر الادارة وحفظ الامن فتقيم في كل مركز من مراكز المديريات موظفاً من قبلها ومعاونين معهُ يهتمون بامر الزراعة وارشاد المزارعين الى خير الطرق التي تزيد بها حاصلات الارض وتتقَّى الآفات الزراعية . وغنيٌّ عن البيان ان الموظفين في هذه الادارة الزراعية يجب ان يكونوا كلهم من الذين اتقنوا الزراعة علماً وعملاً حتى يستطيعوا ان يرشدوا غيرهم . وكانت وزارة الزراعة قد اهتمت بتعيين معاونين للزراعة في مراكز القطر ليكونوا واسطة اتصال بينها وبين المزارعين فيرشدوهم ويساعدوهم جهد الطاقة ويقدموا للوزارة ملاحظاتهم ويعملوا على مقاومة الآفات التي تتهدَّد الزراعة . وقد بلغ عدد المعاونين الذين عينتهم في المراكز ٤٦ معاوناً وادرجت في الميزانية الجديدة للسنة المالية القادمة ١٥ وظيفة جديدة من هذه الوظائف حتى تستطيع ان تعين معاوناً زراعيًّا لكل مركز من مراكز هذا القطر

وقد انتخبت المعاونين الذين عينتهم الى الآن من خريجي مدرسة الزراعة العليا في الجيزة ووزعتهم على المديريات فالقت على عاتقهم اهم الاعمال كلها لانهم اذا قاموا بما يطلب منهم بالهمة والنشاط فقد تزيد حاصلات القطر بسعيهم وارشادهم ثلاثين في المئة او اكثر كما يعلم كل الذين عانوا الزراعة علماً وعملاً

و يقدَّر ثمن حاصلات القطر من قطن وقمح وذرة وفول و برسيم وحلبة و بصل وفواكه و بقول وعجول وحملان باكثر من سبعين مليوناً من الجنيهات في السنة فاذا زادت ثلاثين في المئة بلغ ثمن الزيادة واحداً وعشرين مليوناً من الجنيهات كل سنة

الأَّ ان الموظف الذي يقيم في مركز فيهِ الوف من العزب وعشرات الالوف من الفلاحين لا يستطيع ان يمر على كل عزبةٍ ويرشد كل مزارعيها فلا بدَّ لهُ من معاونين يعاونونهُ . وادارة مثل هذه ينتظر منها ان تفيد البلاد بما يساوي ملايين كثيرة من الجنيهات لا يجوز ان تبخل عليها نظارة المالية بالوف قليلة ولكننا لا نظن ان المسألة مسألة تدبير المال الكافي بل تدبير الرجال الاكفاء لان المتخرجين من مدرسة الزراعة قليل عددهم ونخشى ان لا يكونوا متمرنين التمرُّن الكافي علماً وعملاً على زراعة الوجه البحري وزراعة الوجه القبلي معاً فليس في الامكان ان توسَّع مدرسة الزراعة وتضاف اليها اطيان واسعة مختلفة في درجات خصبها حتى يتمرَّن فيها التلامذة على اصلاح الاطيان وخدمة المزروعات المختلفة وتربية المواشي وعمل سائر الاعمال الزراعية ويخرج منها كل سنة مئة تلميذ او اكثر اتقنوا الزراعة علماً وعملاً

واذا طُلب رأينا فاننا نشير بانشاء مدرسة زراعية اخرى في الوجه القبلي في اسيوط مثلاً يكون تلامذتها من اهالي الوجه القبلي ويتمرنون على زراعتهِ فيها ويخرج منهم نظار الزراعات وموظفو وزارة الزراعة في مراكز الوجه القبلي

وهذا العمل اي توسيع مدرسة الزراعة الحالية وانشاء مدرسة مثلها في الوجه القبلي لا يتم في سنة وسنتين ولكن يجب الاهتمام بهِ من الآن واعداد المدرسين الذين يناط بهم التدريس فيها

القطن المصري

قيمة المحصول الماضي والذي قبلهُ

يؤْخذ من النشرة الشهرية التي اصدرتها ادارة الاحصاء العام عن شهر يناير الماضي ان جملة واردات القطن على الاسكندرية من اول سبتمبر الى ٢٨ يناير الماضي بلغت ثلاثة ملايين و ٧١٢٦٠٥٠ قناطير وكان متوسط سعر القنطار فيها ١٨ ريالاً ونصف ريال فتكون قيمتها كلها ثلاثة عشر مليوناً و ٧١٩١٤٣ جنيهاً مصريًّا

وكانت واردات القطن في مثل هذه المدة في المحصول السابق اربعة ملايين و ٣١٨٩٣٤ قنطاراً ومتوسط سعر القنطار ١١ ريالاً وثلاثة اعشار الريال فكانت قيمتها لذلك تسعة ملايين و ٧٩٦٨٣٣ جنيهاً مصريًا

اي ان الواردات من محصول العام الماضي حتى ٢٨ يناير نقصت عن مثلها في هذه المدة في العام السابق ٦٠٦٣٢٩ قنطاراً ولكن متوسط سعرها زاد سبعة ريالات وعشري الريال فعوضت هذه الزيادة عن النقص كلهِ وزادت ثلاثة ملايين و ٩٢٢٣٢٠ ج.م. عليهِ

وبلغت واردات البزرة من اول سبتمبر الى ٢٨ يناير الماضي مليونًا و ٨٦٤٧١٥ اردبًّا ومتوسط سعرها ١٠٤ غروش فتكون قيمتها مليونًا و ٩٣٩٥٧١ جنيهاً مصريًّا يقابلها في مثل هذه المدة في المحصول السابق مليونان و ٤١٦٥٦٩ اردبًّا كان متوسط سعرها ٦٥٫٣ الغرش فكانت قيمتها كلها لذلك مليونًا و ٥٧٨٠٧١ جنيهاً مصريًّا اي ان واردات البزرة نقصت في المحصول الماضي حتى يناير عن مثلها في هذه المدة في المحصول السابق ٥٥١٨٥٤ اردبًّا ولكن متوسط السعر زاد ٣٩٫٧ الغرش في الاردب في المحصول الماضي فعوضت هذه الزيادة النقص واربت عليهِ بنحو ٣٦١٥٠٠ جنيه مصري

وقد بلغت قيمة واردات القطن والبزرة معاً من المحصول الحاضر حتى ٢٨ يناير خمسة عشر مليونًا و ٦٥٨٧١٤ جنيهاً مصريًا يقابلها في مثل هذه المدة في المحصول السابق احد عشر مليونًا و ٧٤٨٩٤ جنيهاً مصريًّا فتكون الزيادة في قيمة الوارد من المحصول الحاضر على الوارد من المحصول السابق في القطن والبزرة معاً حتى اليوم المذكور اربعة ملايين و ٢٨٣٨٢٠ جنيهاً مصريًّا

نبات النيلة في القطر المصري

يظهر انهُ لما انقطع ورود النيل الصناعي من المانيا فكَّر البعض في العود الى زرع نبات النيلة لاستخراج النيل منها. وقد بلغنا ان النيلة لا تزال تزرع في الواحات وقد جيء بالتقاوي منها وزرعت في مديرية قنا زرع منها نحو اربعين فدانًا وزرع شيء منها ايضاً في مديرية الفيوم. ونحن نكتب هذه السطور وامامنا نبات كامل من النيلة بجذورهِ وقرونهِ واوراقهِ والقرون كثيرة جدًّا في كل فرع من فروع النبات نحو اربعين قرنًا منها وفي القرن من حبتين الى اربع والحب صغير كحب البرسيم وهو صلب شديد اللمعان. ولا نظن ان زراعة النيلة تعود الى انتشارها السابق في هذا القطر الَّا اذا ضعف شأن الصناعة ببلاد الالمان ولم يفلح غيرهم في عمل النيل الصناعي رخيصاً

طباع النحل

من طبائع النحل انهُ لا يعتدي على احد اذا كانت حوصلاتهُ ممتلئة عسلاً او سائلاً حلواً غيرهُ . وتكون ممتلئة متى كان مجتمعاً اسراباً او كان عائداً الى قفرانهِ بعد جمع العسل . كذلك لا يهاجم احداً وهو مروَّع . ويروَّع النحل عادة لاشتيار العسل من خلاياهُ باطلاق الدخان عليها او بالقرع على جدرانها . واول ما يفعلهُ اذا رُوّع ان يملأ حوصلاتهِ عسلاً من الاقراص

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

التطهير ومضادات الفساد

يراد بالتطهير طبًّا تنظيف الاشخاص او الاشياء فلا تكون واسطة لنقل جراثيم الامراض المعدية . وذلك يتمّ باستعمال بعض المواد المطهرة المزيلة للفساد . وكثيراً ما يخلط الناس بين المطهرات ومضادات الفساد التي تستعمل لمنع الفساد او ايقافهِ عند حدّهِ . فان معظم مضادات الفساد مطهرات ولكنها ليست كلها كذلك . فالتجفيف تحت حرارة معتدلة مثلاً يعدّ من مضادات الفساد ولكنهُ ليس من المطهرات . والملح والحامض البوريك من المضادات ولكن فعلها التطهيري ضعيف

ومما يدخل في هذا الباب مواد تستعمل لازالة الرائحة الكريهة واكثرها من المطهرات لا كلّها . فانك اذا وضعت شيئاً من فحم الحطب في غرفة مريض ازال ما بها من الروائح الكريهة ولكنهُ ليس مطهراً . وكذلك اذا القيت بعض اوراق اليوكالبتوس في ارض غرفة تصاعدت عنها رائحة عطرية تقتل بعض المكروبات دون البعض الآخر

واهم وسائل التطهير نور الشمس والهواء النقي ولكنك قلما ترى الناس يعنون بها كما يعنون بالعقاقير المطهرة في حين ان نور الشمس اقوى المطهرات تقريبًا وقلما يعيش مكروب اذا تعرض لنور الشمس والهواء المطلق ساعة وخصوصاً مكروبات بعض الامراض الوافدة كالطاعون والتيفوس

وللحرارة شأن عظيم في هذا الباب فان جميع انواع المكروبات تموت اذا وضعت في ماء وأُغلي من خمس دقائق الى عشر. على انهُ اذا أُريد تطهير امتعة يخشى ان يتلفها الغليان فالسبيل الى ذلك ان تعرَّض البخار مدة عشرين دقيقة. فالادوات والآنية المعدنية لا تصدأُ في البخار كما تصدأُ في الماء والاقمشة الصوفية والقطنية لا تبتلُّ بهِ ابتلالها بالماء. اما الاشياء التي لا تحتمل البخار فتطهر بتعريضها لحرارة جافة مقدارها ٢٥٠ بميزان فارنهيت مدة ساعة

واشهر الغازات المطهرة الحامض الكبريتوس الحاصل من احراق الكبريت. فانهُ يتصاعد من احراق رطل واحد من الكبريت ما يكفي لتطهير غرفة سعتها الف قدم مكعبة. ويجب احراق الكبريت في غرفة مقفلة فلا تفتح الاَّ بعد ست ساعات

ومنها غاز الكلور وهو اصعب مراساً من الكبريت ولكنهُ اشدّ فعلاً منهُ حيث الهواء رطب

واشهر المطهرات السائلة بركلوريد الزيبق المخفف — جزء منهُ في الف الى عشرة آلاف من الماء. وافضل الطرق لاستعمالهِ ان يؤْخذ نصف اوقية منهُ واوقية من الحامض الهدروكلوريك و ٥ قمحات من الانيلين الازرق فتمزج في ثلاثة جالونات ماء

ومن المطهرات السائلة الحامض الكربوليك (الفنيك) — جزء منهُ في ٢٠ ماء والكريزول ١ في ٤٠. والجير المكلور رطل منهُ في جالون ماء. فاذا اضيف الى هذا الاخير شيء من الحامض الكبريتيك انفصل عنهُ الكلور وهو من المطهرات الشديدة. ومن افضل ما يستعمل للرش على الجدران والستائر وغيرها من الاثاث الفورمالين ٢ في ١٠٠ ماء. فانهُ مطهّر قوي ولا يضرّ الاثاث ولا الجدران الملبسة بالورق والمدهونة بالزيت

وهناك محلولات كثيرة خاصة بالتطهير كمحلول برنيت وكندي وسانيتاس. والايزال والليزول والسيلين وغيرها من مستقطرات الفحم الحجري

والغالب ان يطهّر الناقهون من بعض الامراض الحادة المعدية كالحمى القرمزية بالاغتسال في حمام من برمنغنات البوتاس المخففة بالماء حتى تصير ذات لون احمر مصفرّ او بدهن الجسم بالفاسلين الممزوج بالحامض الكربوليك او الدهن الممزوج بالاوزون على نسبة ٨ اجزاء من الدهن في جزء من الاثير الاوزوني. اما اذا اريد تطهير الايدي فافضل طريقة لذلك غسلها كثيراً بالماء السخن والصابون العادي الجيد ثم مسحها بالايثر وتغطيسها خمس دقائق في الحامض الكربوليك المخفف ١ في ٤٠ او بركلوريد الزيبق ١ في ٢٠٠٠ او محلول برمنغنات البوتاس. اما الفم فاحسن ما يطهر بهِ برمنغنات البوتاس وان كانت تكويهِ قليلاً. وكثير من اطباء الاسنان يعوّلون على مذوب البوتاسا الخفيف في تطهير الفم والاسنان

العض واللسع

افضل ما تعالج بهِ عضة الحيوانات العضوضة ولسعة الحشرات مرهم يصنع من جزء من البزموت وجزء مثلهِ من الغليسرين . ولكن اذا ظهر على العضة او اللسعة التهاب وجب ان تدهن بالحامض الكربوليك المخفف بنسبة ١ من الحامض الى ٢٠ من الماء وذلك بان تغمس في المحلول قطعة من نسالة الكتان وتوضع على الجرح وتربط فوقها قطعة من المشمع . ويجب ان تكون الامعاء مطلقة وان يعطى المصاب احد المقويات . اما الحامض الكربوليك فالغرض منهُ قتل المكروبات المضرة ومضادة الفساد الناشىء عنها ولكنهُ لا يمنع الالتهاب بالضرورة فاذا لم يتوقف بل ازداد فلتصنع لزقة من الخبز يضاف اليهِ ماء حارّ وشيء من الحامض الكربوليك على النسبة المتقدمة ودرهم من صبغة الافيون . اما النحل والزنابير فيحسن قبل علاج لسعتها ان تستخرج الحمة ثم يفرك مكانها بروح النشادر المخفف (جزء منهُ في ٣ ماء) او بغيرهِ من القلويات كالطباشير او كربونات الصودا ثم يبرد بالثلج او الماء البارد . واذا لم يكن هناك ثلج فبقطعة من رخام او رصاص او حديد

تبييض عاج البيانو

يصفر العاج الذي يكسو مفاتيح البيانو من امتصاص الدهن الذي يكسو الانامل . ويمكن تخفيف هذا الاصفرار (ان لم تمكن ازالتهُ تماماً) من غير تفكيك المفاتيح وذلك بان يصنع معجون من مسحوق الطباشير ومحلول البوتاس ثم تكسى بهِ المفاتيح مدة يوم كامل

النزف

يعالج النزف الموضعي الحادث من الجروح بالضغط وبالماء البارد . فان كان الدم شريانيًّا وجب ان يضغط بين الجرح والقلب وان كان وريديًّا بين الجرح والاطراف . والمميز بين الدم الشرياني والوريدي ان الاول احمر قانئ والثاني احمر قرمزي او ضارب الى السواد . وكذلك يعالج بان يرشّ عليهِ قليل من الوصفة الآتية وهي : اجزاء متساوية من مساحيق الشب والعفص والصمغ العربي والبخور الجاوري

ازالة الوشم

يزال الوشم بوضع شيء قليل من الحامض النتريك عليهِ براس فلينة او بقلم من الزجاج ويترك الحامض دقيقة ونصفاً ثم يغسل بماءٍ بارد . فلا تمضي بضعة ايام حتى تنفصل عن الجلد قشرة رقيقة عليها الوشم فازلها . واذا التهب مكانها فضع عليهِ لبخًا من الماء الفاتر

اما اذا كان الوشم متسعاً فيفضل معالجتهُ بالطريقة الآتية : ينقش الوشم بمحلول التنين حسب الطريقة المعتادة ثم يمس بقلم من نترات الفضة (ماء النار) حتى يسود فيشعر المعالج بالم خفيف مدة يومين الى اربعة ايام ثم يزول الالم وبعد شهرين يرى ان اثر الوشم زال

وهناك طريقة اخرى وهي ان يغسل الوشم بشيء من الحامض الخليك المخفف وبعد نصف ساعة يغسل بمحلول مؤلف من اوقية ماء و ٤ قمحات من البوتاس الكاوي وبعد نصف ساعة آخر يغسل بمحلول مؤلف من اوقية ماء ودرهم من الحامض الهدروكلوريك المخفف . ويعاد ذلك كل يوم . ويقال انهُ اذا نقش الوشم بشيء من اللبن العادي استحال لونهُ الاخضر احمر ثم زال

بالاختصار

السبيرتو والمشروبات الروحية

يكون الكحول او السبيرتو على نسب مختلفة . والمفهوم عند الكيماويين انهُ اذا قيل ان قوة هذا السبيرتو ٦٠ في المئة كان المعنى ان فيهِ ٦٠ في المئة من السبيرتو الصرف او المطلق . والكحول في عرف الكيماويين الاميركيين هو ٩١ جزءًا من الكحول المطلق في ٩ اجزاء من الماء ثقلاً اما الكحول المطلق فهو ما لم يكن فيهِ ماء البتة على انهُ لما كان الكحول يمتص بخار الماء من الجو بشراهة عظيمة فقلما يكون نقيًّا في السوق وما يباع فيها نقيًّا يحتوي على ٢ في المئة ماء في الغالب

واقوى انواع السبيرتو سبيرتو الخمر ففيهِ ٩٠ في المئة سبيرتو و ١٠ ماء . ويستقطر السبيرتو من مواد جمة كالحبوب والخشب وهذا الاخير يسمى الكحول ميثيل

والكحول على نسب مختلفة في الاشربة الروحية . ففي الهوسكي السكتلندية نحو ٥٤،٣٢ في المئة منهُ . وفي « الروم » ٥٣،٦٨ وفي الكونياك ٥٣،٣٩ . وفي الجن ٥١،٦ . والبورت ٢٢،٩ . والمديرا ٢٢،٢٧ . والتنريف ١٩،٧٩ . والشري ١٩،١٧ . والكلارت ١٥،١ والشمبانيا ١٣،٨ . والآيل ٦،٨٧ . والبورتر ٤،٢ . والسيدر من ٥،٢ الى ٩،٨

ويستقطر السبيرتو في روسيا واسوج من الطحالب اي الاعشاب الدنيا التي تنبت على الصخور في البلاد الباردة ويقتات بها وعل تلك البلاد . ويقال ان هذا السبيرتو لا يقل في مقدارهِ عن السبيرتو المستقطر من الحبوب

صنع الحامض النتريك والامونيا

كان الناس سابقاً يستوردون معظم ما يحتاجون اليهِ من النترات من مكان غربي جبال الاندس في اميركا الجنوبية وخصوصاً بلاد شيلي ولكنهم اخذوا في السنين الاخيرة يصنعون النترات والحامض النتريك في بلاد نروج بطريقة بركلند وطريقة ايد الكهربائيتين . ومنذ سنين اكتشف فرنك وكارو طريقة تستخرج الامونيا بها من كربيد الكلسيوم بعد تحويلهِ الى سياناميد الكلسيوم . ثم اكتشفت طريقة اخرى وهي المسماة اوستولد كيزر وفحواها اكسدة بعض الامونيا بامرارها مع الهواء على البلاتين وما اشبههُ فكانت طريقة بسيطة لاستخراج حامض نتريك رخيص الثمن . ثم اكتشف كيماويان آخران انهُ يمكن ضم النتروجين الى الهدروجين تحت ضغط شديد وحرارة معتدلة وبهذه الطريقة امكن استخراج الامونيا بارخص مما تستخرج بهِ من السوائل المستعملة في معامل الغاز

وقد اشتهر ان الحكومة الالمانية منحت احدى شركات النترات المشهورة في بدء الحرب مئة مليون مارك لتمدها بالحامض النتريك بلا انقطاع بعد ما انقطع ورود النترات على المانيا من الخارج . ويقال ان معامل هذه الشركة تصنع ٣٠٠ الف طن من كبريتات الامونيا في في السنة او ٢٠٠ الف طن من الحامض النتريك

الصناعة الفرنسوية

من بدائع الصناعة الفرنسوية علبة سعوط صنعت للسلطان عبد الحميد مع ما صنع لهُ من الجواهر الكثيرة في فرنسا ثم بيعت مع جواهرهِ في مدينة باريس فاشتراها رجل من اغنياء هذا القطر باربعة عشر الفاً وسبع مئة فرنك والظاهر انهُ ندم على ما فعل فعزم على بيعها وهي معروضة الآن للبيع في شباك مخزن الخواجه كرامر الجوهري بشارع المناخ

والعلبة من ابدع ما صنعهُ الصناع على ما رأينا كما ترى في الصورة المقابلة طولها ٩ سنتمترات وعرضها ٦ مستديرة الزوايا في وسط غطائها دائرة من الميناء متموجة خضراء زمردية عليها الطغراء العثمانية بحروف من الذهب مرصعة بحجارة الماس الصغيرة ويحيط بها دائرة اهليلجية من حجارة الماس الكبيرة وعلى جانبيها عقدان من الماس ايضاً

وغنيٌّ عن البيان ان علبةً مثل هذه لا يستفاد منها فائدة تساوي جزءا صغيراً من ثمنها ولكن الاغنياء الذين يتنافسون باقتناء التحف وعرضها للمباهاة بها او لاظهار مهارة الصناع يليق بهم ان يقتنوا امثالها

العلبة المجوهرة والشهادة فوقها

مقتطف مارس ١٩١٦

امام الصفحة ٢٩٤

باب التقريظ والانتقاد

صبح الاعشى

الجزء السابع

صدر الجزء السابع من هذا الكتاب واكثر ما فيهِ صور مكاتبات الخلفاء والملوك والامراء والوزراء والاتباع اي مكاتبات الدواوين وتشترك كلها في فصاحة الكتَّاب من حيث انتقاء اللفظ وتنميق العبارة وفي اتخاذهم الكتابة فنًّا من حيث اعتمادهم على التنميق والتزويق كأَنهم يصورون زهر الربى واذناب الطواويس ولا قيمة للزمن عندهم كما لا قيمة للمداد والقرطاس

ولقد احسن القلقشندي جامع هذا الكتاب في ايرادهِ الامثلة العديدة من تلك المكاتبات فان الباحث في الاخلاق المفتش عن اسباب الضعف التي نزلت بامم الشرق لوضعهم العرض بدل الجوهر يجد في هذه الامثلة شواهد كثيرة على ما يتطلبهُ . وانا دلالة على ذلك نورد الصور التالية

(١) نسخة كتاب من احمد بن طولون صاحب مصر الى ابنهِ العباس حين عصى عليهِ بالاسكندرية (سنة ٢٦٥ هـ)

« من احمد بن طولونَ مولى امير المؤمنين ، الى الظالم لنفسهِ ، العاصي لربهِ ، الملم بذنبهِ ، المفسد لكسبْهِ ، العادى لطورهِ ، الجاهل لقدرهِ ، الناكص على عقبهِ ، المركوس في فتنتهِ ، المنحوس [من] حظِّ دنياهُ وآخرتهِ » !

سلامٌ على كل مُنيبٍ مستجيب ، تائبٍ من قريب ، قبل الأَخْذ بالكظَم ، وحلولِ الفوت والنَّدَم

واحمد الله الذي لا اله الاَّ هو حمد معترفٍ لهُ بالبلاء الجميل ، والطَّول الجليل ، واسألهُ مسأَلة مخلصٍ في رجائهِ ، مجتهدٍ في دعائهِ ، ان يصلي على محمد المصطفى ، وامينهِ المرتضى ، ورسولهِ المجتبى ، صلَّى الله عليهِ وسلم

اما بعد ، فان مثلك مثلُ البقرة تثير المُدْية بقرنيها ، والنملة يكون حتفها في جناحيها ، وستعلمُ—هبلتك الهوابل ! ايها الاحمقُ الجاهل ، الذي ثنى على الغيّ عطفهُ ، واغتر بضجاج

المواكب خلفه — اي موردة هلكة باذن الله تورّدت ، اذ على الله جل وعز تمرّدت وشردت ، فانهُ تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابهِ مثلاً : (قَرْيَة كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يأْتيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ والخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

وإنا كنا نقرّبك الينا ، وننسبك الى بيوتنا ، طمعاً في انابتك ، وتأميلاً لفيئتك ، فلما طال في الغيّ انهماكك ، وفي غمرة الجهل ارتباكك ، ولم نرَ الموعظة تلين كبدك ، ولا التذكير يقيم اودك ، لم تكن لهذه النسبة اهلاً ، ولا لاضافتك الينا موضعاً ومحلاًّ ، بل لا نكنى بابى العباس الاّ تكرُّهاً وطمعاً بان يهب الله منك خلفا نقلدهُ اسمك ونكنى بهِ دونك ، ونعدّك كنت نسياً منسيًّا ، ولم تك شيئاً مقضيًّا ، فانظرْ ولا نظر بك الى عار نسبتهُ تقلّدت ، وسخط من قبلنا تعرَّضْت ، واعلم ان البلاء باذن الله قد اظلك ، والمكروه ان شاء الله قد احاط بك ، والعساكر بحمد الله قد اتتك كالسيل في الليل تُؤْذنك بحرب وبويل »

والكتاب ملأ خمس صفحات كبيرة وكلهُ على هذا النسق

(٢) نسخة ما كان كتب بهِ الى القواد

« اعزّ الله تعالى انصار المقرّ الكريم ، العالي ، المولويّ ، الاميريّ ، الكبيريّ العالميّ ، العادليّ ، المؤيدي ، الزّعيمي ، العونيّ ، الغياثيّ ، المثاغريّ ، المرابطيّ ، الممهديّ ، المشيديّ ، الظهيريّ ، العابديّ ، الناسكيّ ، الاتابكيّ ، الفلانيّ ، معز الاسلام والمسلمين ، سيد امراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، ملجإ الفقراء والمساكين ، زعيم جيوش الموحّدين ، اتابك العساكر ، ممهّد الدّول ، مشيّد الممالك ، عماد الملة ، عون الامة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد امير المؤمنين الخ »

(٣) نسخة كتاب من الملك الظاهر برقوق

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله ووليهِ . السلطان الاعظم المالك ، الملك الظاهر ، الاجلّ العالم العادل ، المجاهد المرابط ، المثاغر المؤيد ، المظفَّر ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، قامع الخوارج والمتمرّدين ، وارث الملك ، ملك ملوك العرب والعجم والترك ، مبيد الطغاة والبغاة والكفار ، مملّك الممالك والاقاليم والامصار ، إسكندر الزمان ، ناشر لواء العدل والإحسان ، مليك اصحاب المنابر والاسرّة والتُّخوت والتيجان ، مالك البحرين ، صاحب سبل القبلتين ، خادم

الحرمين الشريفين ، ظلِّ الله في ارضهِ ، القائم بسنَّتهِ وفرضهِ ، سلطان البسيطة ، مؤمِّن الارض المحيطة ، سيد الملوك والسلاطين ، قسيم امير المؤمنين ، « ابي سعيد برقوق » خلد الله سلطانهِ ، ونصر جنودهُ واعوانهُ ، وافاض على العباد والبلاد جُودهُ واحسانهُ ، تحيةً تتأرَّج نفحاً وتتبلجُ صبحاً ، وتطوي بعرْفها نشر الخزامى ، وتعيد ميت الاشواق حيًّا اذا ما، تخصُّ الحضرة العلية ، السنية السرية ، المظفرة الميمونة ، المنصورة المصونة ، حضرة الامير العالم ، العادل ، المجاهد ، المؤيَّد ، الأَوحد ذخرُ الاسلام والمسلمين ، عدة الدنيا والدين ، قدوة الموحدين ، ناصر الغزاة والمجاهدين، سيف جماعة الشاكرين ، صلاح الدول ، المتوكِّل على الله احمد ، ابن مولانا الامير ابي عبد الله محمد ، ابن مولانا امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر . ابن الامراء الراشدين . اعزَّ الله دولتهُ وأَذلَّ عداتهُ . وانجز من صعود اوليائهِ وسعود آلاتهِ صادق عداتهِ » الخ

والكتاب طويل ملأَ خمس صفحات

(٤) نسخة كتاب من الملك الناصر محمد بن قلاوون الى السلطان ابي الحسن المريني في جواب كتاب ورد عليهِ منهُ وهي

« عبدالله ووليهُ . السلطان الملكُ الناصر . ناصرُ الدنيا والدين . سلطانُ الإسلام والمسلمين . محيي العدل في العالمين . مؤمِّن اولياء الله المؤمنين . ظلُّ الله الممدود . وميسِّر السُّبُل للوفود . حامي القبلتين بحسامهِ من اهل الجحود . وخادمُ الحرمين الشريفين متَّبعاً للسنة الابراهيمية في تطهير بيت الله للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السُّجُود . والقائم بمصالح اشرف روضة وطيبةُ يعطِّر طيبها في الوجود . وليّ امير المؤمنين جمع الله بهِ كلمة الإسلام بعد الأفتراق . وقمع برعبهِ اهل العناد والشقاق . واوزعهُ شكرْ نعم الله التي الَّفتْ على ولائهِ قلوب ملوك الآفاق . وامتْعهُ بها منحةً صيرت لهُ الملك بالارث والاستحقاق . وسيَّرت كواكب مناقبهِ فلها بالمغارب إضاءةٌ وبالمشارق اشراق . ابن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور . سيف الدنيا والدين . سقى الله عهدهُ عهاد الرحمة ذوات اغراق . وابقى مجدهُ بمجدهِ الذي للامة المحمدية على تعظيمهِ اجماعٌ وعلى تقديمهِ اتفاق . يخصُّ المقام العالي . الملكَ الاجلَّ الكبير . المجير . العاضد . الثاغر . المظاهر . الفائز . الحائز . المنصور . المأثور . الفاتح . الصالح . الامكن . الاصون . الاشرف . الاعرف . الكريم المعظم . ابا الحسن علياً امير المسلمين . ابن السلطان السعيد . الحميد . الطاهر . الفاخر . الماهد . الزاهد . الاورع . الاروع . امير المسلمين .

ابي سعيد عثمان · ابن السلطان · السعيد · الرشيد · السابق · الوامق · الجامع · الصادع . امير المسلمين ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق · ناظم مفرّق الفخار · وهازم فِرَق الفُجَّار · والملازم لاحياء سنَّة الجهاد المتروكة في الاقطار · حتى يجمع في ملكهِ اطراف الغرب الاقصى للاستيلاء والاستظهار · ويخضع لفتكهِ كلّ متكبر جبَّار · ويرصع في سلكهِ ما تأبى وصعب من تلك الديار · ويرفع لنسكه اعمالاً من الجهاد والاجتهاد تسر الحفظة الابرار · يظهر فيها لبركة الاسم العلويّ من نشر الهدى · وقهر العدا · اوضح الادلة وابين الآثار · ويؤثر سلطاننا المحمدي من عليّ عزمهِ وحمي حزمهِ · باعز الاعوان والانصار · فتظفرُ دارُ الاسلام من قومهِ بمهاجرين من ابناء البلاد يقرُّ لهم بام القرى قرار · ويسير سواهم للبيت ذي الحجر والحجْرِ والباب والميزاب والملتزم والجدار والاستار · بسلام مشرق الغرَر · مونق الحبر · وثناءِ مع ريَّاهُ لا يعبأُ بالعبيرِ مع نشرهِ ولا يعتبر · ووداد مخفيّ الخبر · واعتدادِ يطول منهُ في أَلسنة الشكر عن احصائهِ واستقصائهِ قصر · وايرادِ لمفاخرهِ التي سارتْ بها الاخبار والسير · واعتقادٍ لمآثرهِ التي سبق عثمانها الى احراز مزايا الفضل وجاء عليُّها على الأَثر الخ

والرسالة طويلة ملأَت ست صفحات · ولا اعتراض لدينا على هذا التنميق والتزويق الأ لان الناس متى اهتموا بالعَرَض فالغالب انهم يهملون الاهتمام بالجوهر · وقولنا هذا لا يتناول طبع صبح الاعشى لاننا نراهُ من اجمع الكتب لما يتعلَّق بتاريخ الممالك العربيَّة واحوال اهلها

تقرير المعهد السمثسوني

عن سنة ١٩١٣

جاءنا هذا التقرير السنوي وهو كالتقارير السابقة حاوٍ لكثير من المقالات المفيدة لكبار العلماء في المباحث الطبيعية كالفلك والجغرافيا والجيولوجيا والكهربائية والنبات والحيوان وما اشبه وقد ملأَت هذه المقالات اكثر من ٦٠٠ صفحة منهُ

ويظهر من النظر الى حساب اموال المعهد انها بلغت ٩٩٧ الف ريال او نحو مئتي الف جنيه ولكن أُنفق منها تلك السنة ٦٢٧ الف ريال اكثرها انفق على حفظ المجموعات التي في المعهد وعلى بستان الحيوانات الوطني

الرُّجحان

قصيدة فلسفية طبيعية للدكتور شبلي شميل نظمها وشرحها واثبت فيها آراءهُ وآراء جمهور كبير من فلاسفة هذا العصر الروحيين والماديين فجعل آراء الاولين في معرض الزعم وبسطها وعللها فقال :

زعموا انهُ غريب بارض ليس فيها سواهُ شيءٌ غريبُ

الى ان قال :

خبروني ما دام منها وفيها اين يرجى معادهُ المحبوبُ
حلَّ فيها وكان منها سليماً ثم يمضي وقد عرتهُ الكروبُ
خبروني عن حكمة من مجيءٍ لمآب تعدُّ فيهِ الذنوبُ
ولماذا هذا الثواب المرجَّى ولماذا هذا العقاب الرهيبُ

الى ان قال :

فدعونا من الخلود المعنّى ان نرحّب فبالفنا الترحيبُ
واصرفونا في ارضنا عن سماءٍ صوت املاكها الينا نعيبُ
ارضنا للنهى خزانة علم وهي حقل للعالمين خصيبُ
علمونا ان الحياة جهادٌ ومجال الجهاد فيها رحيبُ
علّمونا ان الهنا من هناء الغير منا صحيحهُ مكتوبُ
لا تقولوا الاديان فينا لأَمْنٍ ان تقولوا فقولكم مكذوبُ
قابلوا عصرنا بظلم عصورٍ سادها الدين ثم بعدُ اجيبوا

والظاهر ان الدكتور نظم هذه القصيدة وشرحها قبل شبوب الحرب الحاضرة وما انتجتهُ الفلسفة المادية

اما ما ذهب اليهِ من ان كل شيءٍ في الارض من الارض فمردود بان القوة تأتي الارض من الشمس وتأتي الشمس من مصادر اخرى . واذا كان العقل حالة من حالات القوة فهو مستمد بحسب ذلك من غير الارض . وهذا العقل يرى بداهةً او استقراءً ان الموجودات المادية لا تستطيع ان توجد نفسها فلا بدَّ لها من موجد فاذا كان للموجودات موجِد وهي على ما هي عليهِ من العِظَم والانتظام والاتقان والحكمة والقوة حتى يتولد بعضها من بعض وتولّد

القوة حركة والحركة حرارة ونوراً وكهربائية وادراكاً وتفكيراً فهذا الموجد يلزم ان يكون عظيماً منظّماً متقناً حكيماً قويًّا • والموجودات مالئة الكون فوق ما هي عليهِ من الانتظام حتى اذا سار النور من بعض النجوم الينا بسرعتهِ المعروفة وهي نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان لم يصل الينا في اقل من الوف كثيرة من السنين لبعدها الشاسع عنا • فقدرة هذا الموجد اشمل من كل ما يمكن تصوُّرهُ وهي لا تختص بالكبير من الموجودات كالشموس والاقمار والضخم من الاحياء كالحوت والفيل والانسان بل تتناول ما نعدُّهُ صغيراً حقيراً بالنسبة الينا • رأينا قبَيْل كتابة هذه السطور قطعة من الجبن في احد جوانبها بقعة صغيرة تغيَّر لونها عمَّا يجاورها فنظرنا اليها بمكرسكوب صغير واذا عليها حيوانات صغيرة جدًّا لا ترى بالعين لصغرها شكلها كالخنافس بيضاء الى الصفرة لكل حيوان منها فم ومعدة وايدٍ وارجل وغير ذلك من الاعضاء مثل اكبر الحيوانات . وكم في الارض من ملايين وملايين الملايين من مثل هذا الحيوان او اصغر او اكبر وقد وجدت بقدرة هذا الموجِد او بالنواميس التي وضعها وسلَّطها على المادة

في هذا العالم المادي امور كثيرة لا نفهم مؤَداها او لا نراها تجري على قوانيننا واحكامنا. فالاسراف كثير في ما يتولَّد من بيض السمك وثمر الشجر. والحيوانات يفترس بعضها بعضاً. والامراض تنتاب اناساً لا يستحقونها. والشرير يسود والصالح يداس. ولكن ان كنا لا ندرك ما في ذلك كلهِ من الحكمة فاللوم على قصر عقولنا • وقد ادرك الباحثون المتعمقون منا الحكمة في بعض ما كان يعدُّ قبلاً مظنَّة الجهل • وقد ندرك الحكمة في كل شيء وهب اننا لم ندركها فجهلنا الشيء لا ينفيهِ

والدكتور شميل لا يوجب نفي ما لا نعلمهُ بل يحث الناس على التمسك بما نعلمهُ ولذلك قال « ارضنا للنهى خزانة علم » البيتُ • ولعلهُ يريد بالارض النظام الشمسي كلهُ وكل ما في الكون من مادة وقوة ممَّا يؤَثر فينا • واذا ثبت ما استنتجهُ بعض العلماء الآن من ان المواد كلها حالات من حالات القوة وتأيَّد مبدأُ الانصال ثبت ان الانسان بجسمهِ وعقلهِ جزءٌ من القوة الشاملة وانهُ خالد بخلودها • وما ادرانا ان وجدانهُ لا يبقى معهُ بعد تغير صورتهِ الجسمانية وان وجودهُ الوقتي في هذه الارض انما هو حلقة من حلقات وجود اوسع واعظم وحينئذٍ يصير للوجود الارضي معنًى سامٍ والاَّ عسر فهم المراد من هذا البناء والهدم المترادفين

وآراؤُنا في الكون لا يلزم ان تكون دائماً قرينة الصواب لاسيما وانها كثيراً ما تتوقف على حالنا من الصحة والمرض والراحة والتعب وحال المعدة من القوة والضعف

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) طبع الصور الملونة

مصر . احد المشتركين . بلغنا ان الصور الملونة بالوان كثيرة تطبع الآن من ثلاثة الوان فقط فما هي هذه الالوان وكيف تطبع الصور بها

ج . الالوان الثلاثة او الاحبار الثلاثة هي الاصفر والاحمر والازرق . وطرق طبعها مختلفة واساسها واحد . لنفرض اننا نريد رسم طائر فيهِ من الالوان الاصفر والاحمر والازرق والاخضر والبنفسجي والقرمزي والبرتقالي والسنجابي والرمادي . فتحفر لهذا الطائر صورة تظهر فيها الاجزاءُ التي لونها اصفر والتي الوانها مركبة من الاصفر والاحمر والازرق مفردَيْن او متحدين . وتحفر لهُ صورة ثانية تظهر فيها الاجزاءُ التي لونها احمر فقط والمركبة من الاحمر والاصفر والازرق مفردين او مركبين . وتحفر لهُ صورة ثالثة تظهر فيها الاجزاءُ التي لونها ازرق والتي الوانها مركبة من الازرق مع الاصفر والاحمر . وتطبع الصورة الاولى على ورقة بالحبر الاصفر والثانية عليها بالحبر الاحمر والثالثة بالحبر الازرق حتى تقع كل صورة فوق الاخرى تماماً فتظهر الصورة الاخيرة ملونة بالالوان المطلوبة . ولحفر الصور الثلاث طرق مختلفة ربما استوفينا الكلام عليها في فرصة أُخرى

(٢) الاوزان العبرانية

ومنهُ . كم وزن الشاقل والمنا والوزنة المذكورة في الانجيل

ج . وُجد بعد البحث والتحقيق ان وزن الشاقل القديم كان في عهد المسيح ٢١٠ قمحات و ٥٢ في المئة من القمحة ووزن الشاقل الجديد نصف وزن القديم . ووزن المنا الخفيف ٥٢٦٣ قمحة ووزن المنا الثقيل ١٠٥٢٦ اي مضاعف وزن الخفيف . ووزن الوزنة الخفيفة ٣١٥٧٨٠ قمحة والثقيلة ٦٣١٥٦٠ اي مضاعف وزن الخفيفة

(٣) اصحاب الطريقة الرفاعية

مصر الخواجه سليم حاصباني . ما قولكم في الطريقة الرفاعية التي يأكل رجالها الحيات

ويبقرون بطونهم ويخمدون لظى النار بلعابهم الى غير ذلك من الفعال التي ترتعد لها فرائص المرء وقد رأيت ما رويت مرأى العين فهل هي ضرب من ضروب الشعوذة وما تعليلها عندكم

ج. ان كنتم قد رأيتم رفاعيًّا يأكل الحيات فلا يحتاج الامر الى تعليل لان لحم الحية يؤكل كما يؤكل لحم السمك والغنم والبقر والمعزى . واكثر الحيات غير سام فلا ضرر من اكل لحمها والحيات السامَّة يكون سمها في فيها فاذا قطع رأسها وطرح فلا ضرر من اكل لحم بدنها. واما بقر البطن فلم نفهم مرادكم منهُ فاذا اردتم ان الانسان يبقر بطنهُ ثم يبقى حيًّا فذلك محتمل لان البطن قد يُبقر ثم يخاط ويشفى من غير ان يحدث التهاب مميت في البريتون. والجرَّاح الماهر يستطيع ان يبقر بطن مريض اذا حدث اندغام في امعائهِ ثم يخيطهُ ولكنهُ لا يفعل ذلك في نفسهِ بل في غيرهِ وبعد تبنيجهِ . والظاهر ان الرفاعي الذي رأيتموهُ امهر منهُ واصبر على الالم ولكننا نستبعد ان يفعل ذلك لكي يقنعكم بمهارتهِ افلا ترجحون انهُ خدعكم. واخماد اللظى باللعاب سهل جدًّا ولاسيما اذا اكل الانسان طعامًا يكثر لعابهُ او اذا فكَّر في شيءٍ يكثر فيضان اللعاب كالتفكير بالليمون الحامض فان اللعاب ماء والماء يطفئ النار كما لا يخفى

والقاعدة التي نجري عليها نحن ويجري عليها جمهور الناس اذا سمعوا خبرًا غريبًا هي ان يقيسوا ذلك الخبر الغريب بما يناسبهُ من المعلومات فاذا وجدوهُ مرجحًا صدقوهُ واذا وجدوهُ محتملاً وراويهُ صادقًا وغير مخدوع صدقوهُ ايضًا في الغالب ولكن اذا وجدوهُ مخالفًا للمعلوم انكروهُ او ارتابوا فيهِ الى ان تقوم الادلة القاطعة على اثباتهِ. واذا وجدوهُ مناقضًا للمعلوم انكروهُ بتاتًا وفضلوا تكذيب حسهم على تكذيب معلومات البشر في كل العصور

روى لنا المرحوم الدكتور غرانت بك منذ نحو ثلاثين سنة انهُ شاهد احد الرفاعية يدخل بيتًا أيًّا كان ويصفر فتخرج لهُ من البيت افعى وثانية وثالثة. فقلنا لهُ ان كان هذا الامر صحيحًا استلزم ان توجد الافاعي في كل البيوت وهذا امر يبعد تصديقهُ والاقرب الى العقل ان الرفاعي يخبئ الافاعي في ثيابهِ بعد ان ينزع انيابها ثم يخرجها بحيلة وانت لا تراهُ. فبعث الينا برفاعي لكي يقنعنا بصدق مقالهِ فدخل الرفاعي غرفةً في بيتنا ومعهُ جراب فيهِ افاعٍ كثيرة فوضع الجراب جانبًا ثم صفر واخرج افعى من تحت طاولة كبيرة في وسط الغرفة ولم نرَ الاَّ انهُ مدَّ يدهُ تحت الطاولة واخرج الافعى ثم اخرج افعى ثانية من تحتها فقلنا لعلهُ اخرجها من كمهِ فطلبنا منهُ ان يخلع ثيابهُ كلها فخلعها ورماها

على كتفهِ ثم صفر واخرج افعى ثالثة من احد جوانب الغرفة . فقلنا لهُ اننا واثقون ان هذه الافاعي هي من الافاعي التي كانت معك فان انت اخبرتنا كيف اخرجتها من هنا فاننا نعطيك كذا وكذا من الغروش فرضي وشرح لنا كيف اخرج الافاعي الثلاث من جرابهِ وخبأها في كمهِ ثم لما خلع ثيابهُ ابقى واحدة في كتفهِ مخفية بثيابهِ ثم وضعها على كتفهِ تحت ثيابهِ وهي التي اوهمنا انهُ اخرجها من احد جوانب الغرفة . ولو كنا من مصدقي الاوهام لبقينا حتى الساعة نعتقد ان الافاعي كانت في بيتنا واخرجها ذلك الرفاعي منهُ

(٤) الاعتقاد بالعفاريت

مصر . محمد افندي محمد سعفان بمدرسة القضاء الشرعي . ما هو المعتقد الصحيح الذي يتمسك بهِ الانسان في النساء اللاتي يدَّعين ان العفاريت عليهنَّ

ج . انهنَّ واهمات او مصابات بمرض عصبي (نوع من الهستيريا) . ومتى تعلَّم النساء تزول هذه الاوهام من نفوسهنَّ او تزل سلطتها عنهنَّ

(٥) الحجاب والاميال الجنسية

ومنهُ . يدَّعي انصار الحجاب في مصر على انصار السفور ان الاميال الجنسية اشد في البلاد الحارَّة منها في الباردة فتوجب التحجب صونًا للعفَّة فهل ذلك صحيح

ج . ان البلوغ ابكر في البلاد الحارة منهُ في الباردة ولكننا نرجح ان الميل الجنسي يزيد بالتحجب لا بالسفور على حدٍ قولهم « احب شيءٍ الى الانسان ما منعا » . وتجدون في ما نشرناهُ من رحلة ابن بطوطة في مقتطف فبراير كلامًا يستحق التأمل لانهُ لم يُورَد قصد الجدل بل ورد عفوًا من رجل يخالف مذهبهُ وهو وصف امر واقعي لا شبهة فيهِ . قال دخلت يومًا على ابي محمد بندكان المسوفي (في السودان الغربي حيث الحر اشد جدًّا منهُ في مصر) فوجدتهُ قاعدًا على بساط وفي وسط دارهِ سرير مظلل عليهِ امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان . فقلت لهُ ما هذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها منها فقال هو صاحبها (اي صديقها) فقلت لهُ اترضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع . فقال لي ان مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها

قال ابن بطوطة فعجبت من رعونتهِ وانصرفت . فغلَّب سوء ظنهِ الذي اساسهُ الوهم على ما رآهُ بعينيهِ مرارًا في تلك البلاد وما اكَّدهُ لهُ اهلها مما ينفي كل مظنة . وهذا كلهُ لا يمسُّ جوهر مسألة الحجاب لان البحث في هل تحجب النساء افضل لمصلحة الامة خارجٌ عن موضوعنا

(٦) علاج المبرية

قنا . احد المشتركين . ينزل من رأسي

كل صباح حالما امشط قشور كثيرة بيضاء ولقد استشرت كثيرين من الاطباء فكانت نصائحهم مجمعة على وجوب الغسل والفرك والتمشيط اليومي . على ان هذا العلاج لم ينجع فهل لذلك سبب طبيعي وهل لهُ علاج مفيد

ج . هذه القشور المسماة بالعربية هبرية هي نتيجة مرض في جلد الراس وخير علاج لها النظافة والغسل بالماء والبورق او الماء والغليسرين ودهن ما بين الشعر بمحلول كبريتيد البوتاسيوم او بمرهم زئبقي

(٧) الاكليروس والحرب

مصر . الخواجه حبيب الياس الزحلاوي . يقال ان للاكليروس اليد الطولى في هذه الحرب فهل ترجحون ذلك استناداً على التاريخ او اطلاعاً على معلومات خاصَّة وهل يكون لهم شأن قوي في الصلح

ج . لم نطَّلع على ادلة او امور تؤَيد ذلك ومن المحتمل انهم سعوا لكي يتأيد نفوذ النمسا الكاثوليكية في البلقان ولا يتأيد نفوذ روسيا الارثوذكسية وان هذا السعي كان من جملة الاسباب التي اثارت الحرب الآن ولكن لو لم يحدث ذلك لثارت الحرب بعد سنة او سنتين او اكثر لان النار كانت مخبوءَة تحت الرماد والسبب الاكبر لها المنافسة في الاستعمار والطمع بالاكتساب وحتى الآن لا يظهر انهُ يكون للاكليروس يد في الصلح

(٨) فرنسا والجمهورية

ومنهُ . يتحدث البعض ان الدولة الافرنسية ستعيد حكم الفرد المطلق وتنبذ الجمهورية فهل يعقل ذلك

ج . لا شيءَ يمنع ان يكون معقولاً ولكنهُ غير مرجح لان الناس صاروا الآن اميل الى الحكم الجمهوري منهم الى الملكية المطلقة

(٩) الحرب والحكم المطلق

ومنهُ . لو أُبطلت الاحكام المطلقة في العالم بازالة العائلات المالكة أو تنحيتها الا ينهدُّ ركن من اركان الحروب وتقام مقامهُ دعامة من دعائم السلام

ج . بلى فان الحكومات الجمهورية قلما تكون البادئة في اثارة الحروب وقلما تهتم بالتأهب لها

(١٠) ان الثمانين وبلغتها

شبراخيت . احمد افندي الصراف .

قال الشاعر

ان الثمانين وبلغتها
قد احوجت سمعي الى ترجمان

فهل كلمة بلغتها ينطق بها بَلَغْتُهَا او بُلِّغْتَهَا

ج . لا كذا ولا كذا بل ينطق بها بُلِّغْتَهَا بتاء المخاطَب وهي دعاء اي ان الثمانين سنة وعسى ان تبلغها انت قد احوجت سمعي الى ترجمان

(١١) سد الصين وسيف اقيانس

ومنهُ . قال حضرة صاحب السعادة احمد باشا زكي في تصدير الادب الصغير ما نصهُ « مثلث في التوحيد قد اجتمعت على كلمتهِ شعوب متباينة من سد الصين في اقصى الشرق الى سيف اقيانُس في نهاية اندلس » فما مرادهُ بقولهِ سيف اقيانس وهل سد الصين هو سد مأرب او غيرهُ

ج . السيف بكسر السين الشاطىء . والاقيانس البحر المحيط الذي نكتبهُ عادة اوقيانوس ويريد بهِ الاتلنتيكي . ونظن انهُ يريد بسد الصين السور الصيني المشهور وهو ليس سد مأرب الذي كان في اليمن ولا تزال آثارهُ فيها

(١٢) رسم الخرائط

مصر . محمد افندي صادق راغب بمدرسة الطب . كيف نشأ رسم الخرائط الجغرافية ومن اول من وضع ذلك

ج . ترون مقالة في هذا الموضوع في المجلد الثامن والعشرين من المقتطف وفيها رسم اقدم خريطة وجدت حتى الآن وهي خريطة مصرية رسمت سنة ١٣٧٠ قبل المسيح ورسم خريطة بطليموس الذي نشأ في القرن الثاني للميلاد ورسم الخريطة المنقولة عن كرة الشريف الادريسي الذي نشأ في القرن الثاني عشر للميلاد

(١٣) مصدر نور الشمس

ومنهُ . ما مصدر النور في الشمس . ولا يخفى ان النور مصدرهُ حرارة شديدة درجتها فوق درجة الاحتراق فهل من دليل علمي على ان الشمس تحترق واذا كان الامر كذلك فلمَ لم تنفد المادة المحترقة حتى الآن

ج . ان الشمس في حالة حمو شديد جدًّا وقد حسبوا ان درجة الحرارة فيها نحو عشرة آلاف . وفي سبب حرارتها قولان مشهوران الاول سقوط الرجم المتوالي عليها والثاني تقلُّص جرمها المستمر . ثم ان المادة المحترقة لا تنفد اي لا تزول من الوجود اما في ارضنا فالفحم المحترق يتحد بالاكسجين ويصير غازاً مركبًا من الاكسجين والكربون وينتشر في الهواء ثم يعود الى الارض مع ماء المطر او تمتصهُ النباتات . والخيط الذي في المصباح الكهربائي يضيء من شدة الحرارة ولكنهُ لا ينفد بل يبقى في مكانهِ والمادة والقوة خالدتان لا تتلاشيان فيما نعلم

(١٤) منشورات نبوليون في مصر

الزيتون . ش شدياق . جاء في تاريخ نبوليون في مصر وسوريا بقلم المرحوم سليم البستاني صفحة ١٨ ما يأتي « ثم امر (نبوليون) بان يصير اقامة المطابع الكثيرة التي اتى بها معهُ وذلك في الاسكندرية وان تشرع في طبع اوامرهِ واعلاناتهِ في اللغة الفرنسوية والعربية والسريانية » فارجو الافادة عمَّا اذا

طُبع شيء من منشوراتهِ باللغة السريانية واين يمكن ان توجد نسخة من ذلك

ج. رأينا عند المرحوم صادق بك كامل كثيراً من منشورات بونابرت بالعربية والفرنسوية ولا نتذكر اننا رأينا بينها شيئًا باللغة السريانية وهذا رأي غيرنا من الذين جمعوا ما طبع في مصر في عهد الحملة الفرنسوية فانهم لم يروا بينها شيئًا مطبوعًا بالسريانية

(١٥) امبراطور الجمهورية

ومنهُ . وقع تحت يدي ليرا فرنسوي (بنتو) مضروب سنة ١٨٠٦ وعلى احد وجهيهِ رأس نبوليون الاول ومكتوب حولهُ نبوليون امبراطور Nap. Emp وعلى الوجه الآخر اكليل وحولهُ الجمهورية الفرنسوية R. Française فما معنى ذلك وهل يتفق وجود الامبراطورية والجمهورية معًا

ج . عندنا نحن قطعتان ذهبيتان فرنسويتان كلٌّ منهما بار بعين فرنكاً وعليهما كتابة مثل كتابة البنتو الذي عندكم ولما وقعتا في يدنا منذ نحو ٢٥ سنة ظننا انهما سكتا كذلك خطأً ولكن لما ورد سؤالكم بحثنا في هذا الموضوع فاتضح لنا ان نبوليون لما تاقت نفسهُ الى الملك والى جعلهِ موروثًا في نسلهِ لم يشأ ان يلقب نفسهُ ملكاً خوفًا من الحزب الجمهوري في الجيش فاختار لقب امبراطور ومعناهُ قائد الجيش العام وهو اللقب الذي كان يلقب بهِ القنصل الروماني حينما يقود جيش رومية واول من تلقب بهِ يوليوس قيصر وتبعهُ خلفاؤهُ . اي ان الحكومة الرومانية كانت جمهورية وكان رئيسها يسمَّى قنصلاً ومتى قاد الجيش لقب امبراطوراً فاقتفى نبوليون خطة يوليوس قيصر وكان ذلك بمرسوم من مجلس الشيوخ في ١٨ مايو ١٨٠٤ وبقيت الحكومة جمهورية ولو بالاسم

(١٦) الانسان والاصابع الست

المحلة الكبرى عزيز افندي سوريال . ظن البعض ان الانسان الاول كان لهُ ست اصابع في كل يد فالرجاء ابداء رأيكم في ذلك على صفحات المقتطف

ج . لا دليل على صحة ذلك بل تدلُّ الدلائل على ان عدد الاصابع كان خمسة دائمًا اذ هو كذلك في جنين الانسان وفي الحيوانات الشبيهة بهِ ولانهُ لاداعي لزوال الاصبع السادسة لو كانت موجودة كما زالت الاصابع من قوائم الخيل . ولو كانت موجودة وزالت لبقي لها اثر في يديهِ او في ايدي اجنتهِ

(١٧) سبب تغير الفصول وطول النهار

دمياط . مصطفى افندي اللوزي . ما سبب تغيُّر الفصول وسبب طول النهار وقصرهِ

ج ان سبب تغيُّر فصول السنة وسبب قصر النهار وطولهِ هو كون دائرة البروج (اي الدائرة التي تدور فيها الارض حول الشمس مرة واحدة في السنة) مائلة على خط

الاستواء لا مطابقة لهُ فلو كانت مطابقة لهُ لظلت الشمس على خط الاستواء السنة كلها ولم تتغير فصول السنة ولا اختلف النهار في الطول والقصر . اما الآن فالشمس تقع على خط الاستواء مرتين في السنة احداهما حوالي ٢١ مارس وتعرف تلك النقطة بالاعتدال الربيعي والاخرى حوالي ٢١ سبتمبر وتعرف بالاعتدال الخريفي وفيهما يتساوى طول النهار والليل . ومتى جاوزت الشمس الاعتدال الربيعي تقع شمالي خط الاستواء نصف السنة فيحدث من ذلك فصل الربيع وفصل الصيف هناك و يكون النهار اطول من الليل ومتى جاوزت الاعتدال الخريفي تقع جنوبي خط الاستواء فيحدث من ذلك فصل الخريف وفصل الشتاء شماليَّهُ ويقصر النهار عن الليل . هذا في القسم الشمالي من الارض و يحدث مثلهُ في القسم الجنوبي متى كانت الشمس جنوبي خط الاستواء

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر مارس

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٤	٥	٥٨	صباحاً
الربع الاول	١١	٨	٣٣	مساءً
البدر	١٩	٧	٢٧	«
الربع الاخير	٢٦	٦	٢٢	«
القمر في الاوج	١٢	٧	٢٤	«
« الحضيض	٢٦	٣	١٢	«

السيارات

يكون عطارد كوكب الصباح والزهرة كوكب المساء والمريخ يغرب نحو الساعة ٤ صباحاً والمشتري كوكب المساء في اول الشهر ثم يشاهد في آخرهِ

وزحل يغرب نحو الساعة ٢ صباحاً

سير العلم في اوربا واميركا

قالت السينتفك اميركان في مقالة عن تأثير الحرب في سير العلم باوربا واميركا « ان انضمام كثيرين من علماء اوربا وجامعي حروف المطابع الى المحاربين في الميادين كان عقبة كبيرة في سبيل تقدم العلم في البلاد الاوربية فلم يخترع شيء يستحق الذكر ولا اكتشف شيء الاَّ صنع العلف من الخمير في المانيا بعد

تضييق الحصر البحري عليها. اما اميركا فليس الامر فيها كذلك. و يكفي للدلالة على حسن سير العلم فيها تمكننا في خلال السنة الماضية من مخاطبة باريس وجزر هونولولو بالتلغراف اللاسلكي من وشنطن عاصمة هذه الولايات»

وقابلت بين سير علم الفلك في اوربا وسيره في اميركا فذكرت ان المكتب الفلكي الالماني الذي كان يوزع الاخبار الفلكية من كيال على جميع انحاء المسكونة قبل الحرب انقطع عن عمله هذا في زمن الحرب فتولى مرصد جامعة كوبنهاغن نشرها مكانهُ . اما في اميركا فان العمل قائم بهمة لا كمال نصب التلسكوب الكبير في مرصد مونت ولسن . وهو اكبر تلسكوب صنع وقطر عدسيتهِ مئة بوصة . ومتى تمَّ تركيبهُ امكن ان يصوَّر بهِ مئة مليون نجم جديد

صفّ المصابيح في الشوارع

بحث بعضهم في افضل الطريقتين لصف المصابيح على جانبي الشوارع العمومية هل هو صفّها على جانبي الشارع متقابلة او مترادفة كما في القاهرة مثلاً فكان حكمهم ان الطريقة الاولى هي الافضل من جهة الزينة او الجمال الهندسي . وان الثانية افضل من جهة المنفعة الاَّ حيث عرض الشارع ليس اعظم كثيراً من المسافة بين مصباح ومصباح فحينئذٍ يفضل صفّ المصابيح متقابلة . اما حيث عرض الشارع اعظم بكثير من المسافة بين مصباح ومصباح فالطريقة الثانية افضل . و بناء على ذلك يكون صف المصابيح بحسب الطريقة الاولى افضل في مدينة مثل القاهرة فان عرض شارع من الشوارع الكبرى كشارع المدابغ مثلاً الذي يقطع شارع قصر النيل عند البنك الاهلي لا يزيد على ثلث المسافة بين مصباح وآخر

من سيبيريا الى انكلترا بحراً

بلغ انكلترا في اكتوبر الماضي باخرتان انكليزيتان قادمتان من سواحل سيبيريا الشمالية وهما تحملان شحناً من حاصلات بلاد اوبي وينيسي بطريق بحر كارا والاوقيانوس المتجمد الشمالي

حصى المرارة

لحظ جرَّاح انكليزي ان الحصى تتكوَّن في مرارات الارانب التي تلقح بمكروبات لولبية تشبه مكروبات الكولرا في شكلها . وربما اتصلوا من ذلك الى معرفة السبب في تكوُّن الحصى في مرارات الناس مما هو كثير الحدوث في البلاد الحارَّة

كتب قديمة في الفلك

في مكتبة لندن الآن مجموعة صغيرة من كتب قديمة مطبوعة في علم الفلك : منها نسخة تقويم بالايطالية لمونتريجو واخرى

باللاتينية . وكلتاهما مطبوعتان في مطبعة ارهارد رتدولت المشهورة بالبندقية سنة ١٤٧٦ ونادرتا الوجود الآن . ومنها كتاب باللاتينية لمؤلف نفسهِ طبع في نورنبرج في السنة المذكورة ايضاً . وبينها كتب اخرى طبعت في القرن الخامس عشر ايضاً فيها رسوم للكسوف والخسوف وغيرها من الرسوم الفلكية منها ما لُوّن باليد ومنها ما لُوّن بالطبع . وبين تلك الكتب كتابان لغليليو الواحد طبع سنة ١٦١٣ ووصف فيهِ كلف الشمس وبقعها وكان قد اكتشفها حديثاً واعلن فيهِ اكتشافهُ للاضطرابات الحادثة في افلاك اقمار المشتري . والآخر كتابهُ المسمى « ديالوغو » وهو الذي وصف فيهِ رأي بطليموس في نظام الافلاك ثم رأي كوبرنيكوس بعدهُ فافضى الى حكم ديوان التفتيش المشهور عليهِ

وبين تلك الكتب كتاب واحد بالانكليزية من الطبعة الاولى لكتاب نيوتن « المبادئ » طبع سنة ١٦٨٧ . والنسخة محفوظة احسن حفظ

اغاني الهنود بالفونوغراف

عهد مكتب الحكومة الاميركية الخاص بدرس اجناس الناس الى سيدة اميركية في جمع اغاني الهنود الاميركيين بالفونوغراف فجمعت نحو الف منها حتى الآن . وموضوع كثير من هذه الاغاني الاعتقاد بوجود اله يسمونهُ « الطبيب العظيم » فينظمون الاناشيد ويغنونها لهُ طالبين عافية وعمراً مديداً وعوناً على نشر الفضائل وهجر الرذائل وفي طليعتها شرب المسكر . وبعض هذه الاغاني قديم منقول بالسماع ابًا عن جدّ ولكن المغنين يستعينون على تذكرهِ بمذكرات منقوشة على قطع من لحاء الشجر . وبينها مجموعة من اغاني سميت « اغاني الاحلام » يدعي الهنود انها جاءتهم وحياً في حلم او في غيبوبة وهذه تستعمل لعلاج المرضى . وقد ابدى احد كهانهم او اطبائهم قوّتهُ الخارقة العادة بمعجزة اتاها وهي اشبه شيء باعمال المشعوذين ذلك انهم ربطوهُ بحبال وسلاسل فتملص منها على مثال المشعوذين الذين نراهم كل يوم

زراعة الجوت في الهند

تبلغ مساحة الاطيان التي تزرع جوتاً في بلاد بنغال وكوش بهار وآسام من اعمال الهند ٣٣٥٠٠٠٠ فدان . وبلغت قيمة ما اصدر منها من الجوت الخام ٢٠ مليون جنيه سنة ١٩١٣ . وفي كلكوتا معامل لنسجهِ تنسج ما زنتهُ ثلاثة الاف طن في اليوم . وفي سنة ١٨٥٥ لم يكن فيها سوى معمل واحد

المطر في انكلترا

قاسوا ما وقع من المطر في انحاء انكلترا المختلفة في شهر ديسمبر الماضي فوجدوا ان

معظمهُ وقع في مكان اسمهُ بورودايل من مقاطعة كمبرلند وكان ٢١,٠٣ من البوصة واقلهُ في جلدستون من مقاطعة نوفوك وكان ٣٫٤٣ من البوصة · ولبيان عظم المقدار الاول نقول ان سورية من البلاد التي تعتمد في ارواء مزروعاتها على الامطار الاَّ بقعاً محدودة منها ومع ذلك يتراوح متوسط ما يقع من المطر فيها كل سنة بين ٣٠ بوصة و٣٥ · واذا تجاوزت هذا القدر خيف من الغرق كما جرى في بعض السنين اذ بلغ متوسط المطر في فصل الشتاء ٤٦ بوصة فغرق كثير من الزرع · فما نزل من المطر في بورودايل وفي شهر واحد بلغ ثلثي ما ينزل عادة في سورية مدة اشهر الامطار وهي خمسة اشهر على الغالب

سكة حديد الرأس والقاهرة

لم يبقَ لوصل القاهرة باقصى افريقية جنوباً بسكة الحديد الاَّ اتمام الخط في ثلاثة اماكن الواحد بين كمبوف و بوكاما في الكنغو البلجيكية · والثاني بين ستانليفيل في الكنغو البلجيكية ايضاً و بحيرة البرت · والثالث بين دوفيل في حلقة لادو ورجاف في السودان المصري وهذا الاخير هو الاقصر وطولهُ ١٠٠ ميل · والمرجح انهم يمدون فرعاً من ستانليفيل الى بحيرة تشاد ومنها الى حيث يتصل بخط سكة الحديد الفرنسوية التي تجتاز الصحراء الكبرى

وهناك خطٌّ للسفر من مدينة الراس الى القاهرة غير الخط المتقدم وهو ان يركب المسافر سكة الحديد من مدينة بروكن هل في رودسيا الى الطرف الجنوبي من بحيرة تنجنيكا ثم يمرُّ باملاك المانيا في شرق افريقية حتى ينتهي الى سكة حديد اوغندا ومنها الى سنار في السودان

فضل الكيمياء الصناعية

قال عالم انكليزي من مقالة نشرت في المجلة الانكليزية « ان اعانة الحكومة الالمانية لفرع الكيمياء الصناعية هو اشبه شيءٍ بعرق ذهب في جسم السياسة الالمانية · واذا تسنى لنا يوماً فهم المراد بكلمة « كلتور » (رقي) التي يرددها الالمان كثيراً رأينا ان الكيمياء الصناعية او الصناعة الكيماوية هي روح ذلك الرقي وقوامهُ »

الورق وربُّ الخشب

لما اعلنت اسوج عزمها على منع اصدار رب الخشب الى انكلترا قلقت انكلترا لذلك اشدَّ قلق لاعتمادها في صنع الورق على ما تستوردهُ من هذا الرب · فقد زادت قيمة ما استوردتهُ منهُ عشرة اضعاف بين سنة ١٨٨٧ وسنة ١٩١٥ فكانت في الاولى ٥٠٠ الف جنيه فصارت في الثانية ٥ ملايين واستوردت في السنة الماضية ايضاً ما قيمتهُ

مليون جنيه من المواد الاخرى التي يصنع الورق منها كقشب الوزال والخرق (الكهنة) وغيرها · اما رب الورق فكانت تستورد منهُ نحو ٧٠ في المئة من اسوج ونروج · فاسوج تمدها بمعظم الرب الكيماوي الذي يستعمل لصنع الورق الفاخر · ونروج بمعظم الرب المسمى بالميكانيكي وهو الذي يصنع منهُ ورق الصحف اليومية عادة · والباقي من الرب يرد من اميركا وكندا ولكن معظم ما يرد منهما هو من الرب الميكانيكي اي رب الخشب المطحون

مدالية البرت

اهدت جمعية الفنون الملكية في انكلترا مداليتها المعروفة بمدالية البرت هذه السنة الى السر جوزف طمسن « لمباحثهِ في الكيمياء والطبيعة وتطبيقها على حاجات الفنون والمصنوعات والتجارة » · وهذه المدالية انشئت سنة ١٨٦٣ تذكاراً لزوج الملكة فكتوريا وهي تمنح كل سنة « لمن يتفوق في ترويج الفنون والمصنوعات والتجارة »

اللاتينية لغة عامة

توفي اخيراً الاستاذ باتسلّي الايطالي فأبّنتهُ المجلاَّت العلمية الانكليزية ومما قالتهُ مجلة ناتشر في تأبينهِ انهُ لما عقد موءتمر الطب الدولي اجتماعهُ الحادي عشر في رومية سنة ١٨٩٤ اقترح باتسلّي جعل اللاتينية اللغة العامة لجميع الناس وكان هو رئيس الموءتمر فكتب اليها الآن السر لودر برانتون الطبيب المشهور يحبذ هذا الاقتراح ويشير باخراجهِ الى الفعل وختم رسالتهُ بقولهِ : « كلما مرَّ بنا يوم وازداد الاختلاط بين امم الارض المختلفة اشتدت حاجتهم الى لغة عامة للتفاهم والتخاطب · وقد حاول البعض سد هذه الحاجة بتأليف لغة عامة كالفولابوك والاسبرانتو فنجحوا بعض النجاح ولكن لم تصر احداهما لغة عامة · ومن المعلوم ان الانكليزي قلما يتعلم اللغات الاجنبية كالهندي او الالماني او الروسي · وعندي ان تفوق الالماني على الانكليزي من هذا القبيل هو الذي احلَّ تجارتهُ محل تجارة الانكليزي في بعض انحاء المعمور قبل الحرب · ومتى انقضت هذه الحرب المشوءومة فستحاول المانيا مرة اخرى الحلول محل انكلترا في تجارة العالمين والقاء بذور الشقاق بين الحلفاء بكل صنوف الشر والدهاء · فاذا لم يتعلم الانكليز لغة الفرنسويين والطليان والروس فلا يستطيعون المحافظة على ما بينهم من الوداد الآن · فالفرنسوية والايطالية سهلتان ولكن الروسية عسرة وقد تصير الزم اللغات لنا · فاذا علمت اللاتينية في بلاد الحلفاء لم يمضِ الاَّ القليل حتى تستعيد مكانها القديم اي تصبح اللغة العامة لجميع العالم المتمدن »

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والاربعين

صفحة

٢٠٩ اليابان ومجد الشرق

٢١٣ المجمع الاوربي ومغزاهُ

٢١٨ طبيبات النساء في انكلترا

٢٢٤ توزع الثروة في انكلترا

٢٣٠ حديث في سنة ١٩٠٥

٢٣٧ السحر في الشعوذة

٢٤٠ ملك الانكليز وامبراطور الالمان

٢٤٦ العلم في العام الماضي

٢٤٨ ابن بطوطه وبلاد السودان

٢٥٣ محمد قدري باشا . لتوفيق افندي اسكاروس بدار الكتب السلطانية (مصوَّرة)

٢٦٣ الديلي تلغراف وابو صحافة لندن (مصوَّرة)

٢٦٥ علم الانسان

٢٧٠ مصر منذ تسعين سنة . لديمتري افندي نقولا

٢٧٨ باب الزراعة * تثبيت النتروجين الجوي . مبادئ خصب المزروعات (مصوَّرة) دود بزر القطن . معاونو الزراعة والمدرسة الزراعية . القطن المصري . نبات النيلة في القطر المصري

٢٩٠ باب تدبير المنزل * التطهير ومضادات الفساد . العض واللسع . تبييض عاج البيانو . النزف . ازالة الوشم

٢٩٢ باب الصناعة * السبيرتو والمشروبات الروحية . صنع الحامض النتريك والامونيا . الصناعة الفرنسوية (مصوَّرة)

٢٩٥ باب التقريظ والانتقاد * صبح الاعشى . تقرير المعهد الشمسوني . الرجحان

٣٠١ باب المسائل * وفيهِ ١٧ مسئلة

٣٠٧ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٥ نبذة